الاعتقاد

صورة

للإمام العلامة موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي

دراسة وشرح وتحقيق

عادل عبد المنعم أبو العباس

مكتبة القرآن
للطبع والنشر والتوزيع
٣ شارع القماش بالفرنساوى - بولاق
القاهرة - ت ٧٦١٩٦٤ - ٧٦٨٥٩١

obeikandl.com

وكيلنا الوحيد بالمملكة العربية السعودية،

مكتبة الساعي

الرياض ت، ٤٢١٥٦٣٦ - فاكس، ٤٢١١٤٣٤
فرع جدة - تليفون، ٦٥٣٢٠٨٩

جميع الحقوق محفوظة للناشر

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

مقدمة المحقق

الحمد لله الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، وأصلى وأسلم على سيد ولد آدم سيدنا محمدٍ ، وعلى من آمن معه واتبع هديه إلى يوم الدين .

وبعـــد

فإن العقيدة الإسلامية هى العقيدة الصافية النقية التى تأخذ بيد البشرية إلى ما يحفظ عزتها وكرامتها ، ذلك لأنها تواكب الفطرة التى فُطِر الإنسان عليها ، فما من شيء جاءت لتأمر به إلا وقال العقل نعم هذا هو لب الصواب ، وما نهت عن شيء إلا واستجاب لهذا النهى لأنه لا يتفق مع فطرة الإنسان وطبيعته . ولقد كان لهذه العقيدة الفضل الأكبر فى إنقاذ آلاف الملايين من البشر مما تردوا فيه من خزى وضلال ، وإخراجهم من حياة يحفها الهم والضيق والنكد من يمينها وشمالها وفوقها وأسفل منها ، ونقلهم من الذلة والمهانة إلى العزة والكرامة .

فنحن نعلم أن الأمم قبل بزوغ فجر الرسالة المحمدية كانت تعيش عيشة الذئاب ، وتحيا حياة الغابة لا يحكمهم قانون ، ولا تسيطر عليهم عقيدة ، ولا يدينون دين الحق . فهم مع اعترافهم بالله ، وأنه خالقهم وموجدهم كانوا يشركون معه آلهة أخرى ، ويزعمون أن هذه الآلهة الباطلة تقربهم إلى الله زلفى . وكانوا ينكرون البعث بعد الموت حتى إن شاعرهم بين أنه نوع من أنواع الخرافة التى لا تمت إلى الحقيقة بصلة فقال :

حياة ثم موتٌ ثم بعث حديث خرافة يا أم عمرو

كما أنهم كانوا يعتقدون أن البقاء للأقوى حتى ولو كان ذلك على حساب أمم بأسرها ، فلا طريق للبقاء إلا بالبعد عن العدالة ، والتقرب من الظلم

وهذا هو ماعبر عنه زهير بن أبى سُلْمى بقوله :

ومن لم يذد عن حَوْضِه بسلاحه يُهَدَّم ، ومن لا يظلم الناس يُظْلم[1]

ويعبر عنه القول المتعارف عندهم : « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً » .

لقد بُعِث رسول الله ﷺ ، والمستوى العقائدى والأخلاق فى العالم كله فى الدرك الأسفل ، فكانت مهمته الكبرى إنقاذ هذه الأمم من براثن الشرك والانحراف ، وإخراجهم من ظلمات الكفر والضلال إلى نور الإيمان والرشاد ، وذلك عن طريق دعوته إلى إصلاح العقيدة التى وجه إليها القرآن الكريم من أول يوم نزل فيه . فدعاهم بادىء ذى بدءٍ إلى إنكار تعدد الآلهة ، والإيمان بوحْدانية الله الذى خلق فسوى وقدر فهدى . وظل يدعوهم إلى هذه العقيدة مدَّة طويلة من الزمان، ليثبت ذلك الأمرَ الكبير فى الأذهان ، وأخذ يتدرج بهم إلى أن ثبت فى نفوسهم أركان الإيمان الستة التى جاءت فى حديث أبى هريرة – رضى الله عنه – والذى فيه أن جبريل سأل النبى ﷺ عن الإيمان فقال له : «**أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ولقائه ، ورسله ، وتؤمن بالبعث وبالقدر كله**»[2].

واستمر القرآن المكى يفسر للإنسان سر وجوده ، ووجود هذا الكون من حوله .

كان يقول له : من أنت ؟ .. ومن أين جئت ؟ ولماذا جئت ؟ وإلى أين تذهب فى نهاية المطاف ؟ من ذا الذى جاء بك من العدم المجهول ، ومن ذا الذى يذهب بك ، ومامصيرك هناك ؟

كان يقول له : ماهذا الوجود الذى تحسه وتراه ، والذى تحس بفطرتك أن وراءه غيباً ؟

من أنشأ هذا الوجود الملىء بالأسرار ؟ من ذا الذى يدبره ؟ ومن ذا يحوره ؟ ومن ذا الذى يجدد فيه ويغيره على النحو الذى تراه ؟

وكان يقول له كذلك : كيف تتعامل مع خالق هذا الكون ومع الكون أيضاً ، كما يبين له كيفية تعامل العباد مع العباد .

---

(١) انظر ديوان زهير بن أبى سلمى ص ٣١ القصيدة الأولى ، رقم البيْت ٥٤ . طالمكتبة الثقافية بيروت .

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الإيمان حديث (١) والبخارى بنحوه كتاب الإيمان باب سؤال النبى عن الإيمان الإسلام .

حقاً لقد نقل القرآن الكريم الإنسان إلى عقيدته الحقه ، وأبعده عن كل عقيدة باطلة تقدس الآلهة المزيفة ، وتنكر الحقائق المقررة ، وانتشله مما تردى فيه من معالم تحطمت فيها كرامته .

عقيـدة تواكب الفطـرة

لقد استجابت الآلاف المؤلفة من البشر لهذه الدعوة الجديدة ، والعقيدة الصافية الرشيدة ، وراحوا ينقلونها بكل مااستطاعوا من حوْل وطول بين إخوانهم من بنى الإنسان كانوا يقولون للناس : قولوا لا إله إلا الله تفلحوا . ليس فى الآخرة فحسب ، وإنما فى الدنيا كذلك ، وكان نشيدهم الذى يترنمون به فى حلهم وترْحالهم : جئنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله الواحد الأحد .

لقد أرادوا أن ينقلوا حلاوة الإيمان وصفاء العقيدة إلى إخوانهم من بنى الإنسان ، حتى يعم النفع فى هذا العالم الذى اشتكى مدة طويلة من الزمان من جرَّاء ما حدث فيه من مهانات . والحق أن كل إنسان يحيا فى هذه الحياة بغير عقيدة فهو بعيد كل البعد لا محالة عن كل سعادة ينشدها ، فالسعادة لا تأتى إلا من خلال عقيدة صافية صادقة تسير الإنسان ، وتعلمه هدفه من الحياة والكتاب الذى بين يديك أيها القارىء يحدثك عن عقيدة المسلمين التى هى سبب فى سعادتهم فتعال معى نتعرف على المؤلِف والمؤلَّف .

ترجمة المؤلف

هو الإمام العلامة العامل العابد الزاهد شيخ الإسلام موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر بن عبد الله بن حذيفة ابن محمد بن يعقوب بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن يحى بن محمد بن سالم ابن الصحابى الجليل عبد الله بن عمر بن الخطاب . هكذا ذكر المؤرخون نسبه واتفقوا على صحته ، وهو يعرف بين العلماء بابن قدامة المقدسى .

ولد العلامة موفق الدين بن قدامة ببلدة جماعيل فى شعبان سنة إحدى وأربعين وخمسمائة من الهجرة المباركة ، ولما بلغ الثامنة من عمره استولى الصليبيون على البلاد المباركة ، فهاجر مع أسرته إلى دمشق سنة إحدى وخمسين وخمسمائة ، وبدأ موفق الدين فى حفظ القرآن ، وسماع الحديث ، وحفظ متون الفقه ، وقد منحه الله تعالى عقلاً ذكياً وقلبا طاهراً ، فبرع فى العلوم وتفوق على أقرانه ، وقد كان مصاحبا لابن خالته الحافظ العلامة الإمام تقى الدين عبد الغنى بن عبد الواحد الجماعيلى . وقد أقام ابن قدامة فى بغداد أربع سنين أتقن خلالها الفقه على مذهب الإمام الربانى أحمد بن حنبل .

فى رحاب العلم

وكان من فضل الله تعالى عليه أنه رُزِق التلمذة على يد علماء أتقياء أصفياء ، كان لهم الفضل الأكبر فى توجيهه وتعليمه والاهتمام به لما رأوا فيه من نبوغ علمى ، وصفاء عقلى ، وقدرة فائقة على إتقان العلوم التى يتلقاها على أيديهم .

فقد سمع من الشيخ العلامة أبى المكارم عبد الواحد بن أبى طاهر محمد بن المسلم بن الحسن الأزدى الدمشقى المتوفى سنة ٥٦٥هـ ، والإمام العلامة أبى

المعالى عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن صابر الدمشقى المتوفى سنة ٥٧٦هـ ، كما سمع من الشيخ الإمام أبى الفتح محمد بن عبد الباقى بن أحمد المعروف بابن بطة البغدادى المتوفى سنة ٥٦٤هـ ، ومن الفقيه الواعظ الأديب أبى الحسن مهذب الدين سعد الله بن نصر المعروف بابن الدبياجى المتوفى سنة ٥٦٤هـ ، ومن الحافظ الفقيه الثقة العلامة ابن شافع الجيلى البغدادى المتوفى سنة ٥٦٥هـ ، كما أخذ عن الشيخ المحدث العظيم أبى طالب المبارك بن الخضير الصيرفى البغدادى المتوفى سنة ٥٦٢هـ ، وغيرهم من أعلام بغداد وعلمائها .

وبعد فترة من الزمان تنقل ابن قدامة المقدسى خلالها هنا وهناك طلبا للعلم ، وسعيا فى سبيل تحصيله استقر به المقام فى دمشق ، واشتغل بتصنيف شرحه الكبير ومؤلفه العظيم « المغنى » فى الفقه .

من التلمذة إلى الأستاذية

ولقد انتقل ابن قدامة من مرحلة التلمذة إلى مرحلة الأستاذية ، فأصبح عالماً ملء السمع والبصر ، يأتى إليه الطلاب من كل فج ينهلون من علمه ، ويغترفون من أدبه وفقهه ، والحق أن تلاميذه لا يحصون عدداً ، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر ، ابن أخيه قاضى القضاة شمس الدين عبد الرحمن بن أبى عمرو المقدسى ، والعز إسماعيل بن الفراء ، والعلامة ابن العماد ، وأبو شامة ، والجمال بن الصيرفى وغيرهم .

وكان تلاميذه يتلقون عنه الدروس من بكرة إلى ارتفاع النهار ، ثم يقرأون عليه بعد الظهر إلى صلاة العصر ، ومن بعد صلاة العصر إلى المغرب .

ثناء العلماء عليه

يعد العلامة الموفق بن قدامة المقدسى من كبار علماء المسلمين فى العبادة والفقه والتقوى والحديث ، وأصول الدين ، والعربية ، والفرائض والحساب ،

والمواقيت .

وقد أثنى كبار علماء الأمة عليه وعلى علمه ، وإليك بعض أقوالهم فيه

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « مادخل الشام بعد الأوزاعى أفقهُ من الشيخ الموفق ».

وقال العلامة ابن كثير : « أبو قدامة المقدسى إمام عالم بارع لم يكن فى عصره ، بل ولا قبل دهره بمدة أفقه منه » .

وقال المؤرخ شمس الدين يوسف سبط ابن الجوزى فى كتابه مرآة الزمان : « كان الموفق إماماً فى فنون ، ولم يكن فى زمانه – بعد أخيه أبى عمرو والعماد – أزهد ولا أورع منه ، وكان كثير الحياء ، عزوفاً عن الدنيا وأهلها ، هينا ليناً متواضعاً ، محبا للمساكين ، حسن الأخلاق ، جواداً سخيا ، من رآه فكأنما رأى الصحابة » .

ووصفه ابن النجار فى الذيل على تاريخ بغداد بقوله : « كان الشيخ موفق الدين إمام الحنابلة ، وكان ثقة حجة نبيلا غزير الفضل ، كامل العقل ، سديد التثبت ، دائم السكوت ، حسن السمت ، نزيهاً ورعاً عابداً على قانون السلف ، على وجهه النور ، وعليه الوقار والهيبة ، ينتفع الرجل برؤيته قبل أن يسمع كلامه » .

وقال شيخ الإسلام أبو عمرو بن الصلاح : « مارأيتُ مثل الشيخ الموفق » .

وشهادات العلماء للعلامة الموفق ابن قدامة المقدسى لاحصر لها ، وهذا دليل على فضله وعلمه وتقواه .

أسـد فى ساحة المعركة

وكما كان ابن قدامة بطلاً فى حقل العلم والمعرفة ، فقد كان أسداً قوياً فى صفوف المجاهدين فى سبيل الدفاع عن أرض الإسلام ، والذود عن حماه وبلاده المقدسة . فإنه عندما حشد البطل العربى المسلم صلاح الدين الأيوبى جيوش الإسلام سنة ٥٨٣هـ لقمع الصليبيين ، وتطهير الأرض المقدسة من

أرجاسهم ، كان إمامنا العلامة ابن قدامة المقدسى . وأخوه الشيخ أبو عمرو ، وشباب أسرتهما وتلاميذهما النجباء من المجاهدين تحت هذه الرايات الطاهرة ، يقاتلون ويدافعون حتى كان النصرُ حليفهم بتوفيق الله ومعونته .

مؤلفـاته

ولم يتوقف جهاد شيخ الإسلام ابن قدامة عند هذا الحد ، فقد راح يجاهد بقلمه مؤلفاً فى علوم الإسلام ، لينهل المسلمون من هذا العلم الطاهر ، ولينعلموا أصول دينهم ، من خلال مايكتبه هو وأمثاله من العلماء فى كل العصور .

ومؤلفات الرجل كلها جليلة ، ورسائله لايحصيها العد ، ومن أهم مؤلفاته :

١ ــ العمدة فى الفقة « للمبتدئين » .
٢ ــ المقنع فى الفقه « للمتوسطين » .
٣ ــ الكافى فى الفقه « وهو أوسع من المقنع » ذكر فيه من الأدلة مايؤهل الطلبة للعمل بالدليل .
٤ ــ المغنى فى الفقه . طبع فى عشر مجلدات .
٥ ــ مختصر الهداية لأبى الخطاب محفوظ بن أحمد البغدادى .
٦ ــ مختصر علل الحديث . للإمام الخلال .
٧ ــ مختصر فى غريب الحديث .
٨ ــ البرهان فى مسألة القرآن .
٩ ــ كتاب المتحابين فى الله . طبع بمكتبة القرآن بتحقيق الأستاذ/ مجدى.السيد إبراهيم .
١٠ ــ التبيين فى نسب القرشيين . مخطوط بدار الكتب المصرية .
١١ ــ الاستبصار فى الأنصار . مخطوط بدار الكتب المصرية .
١٢ ــ ذم الموسوسين . طبع فى المطبعة المنيرية .
١٣ ــ فضائل عاشوراء .
١٤ ــ ذم التأويل .

١٥ ــ مسألة فى تحريم النظر فى كتب أهل الكلام .
١٦ ــ الاعتقاد . وهو الكتاب الذى بين يديك ، ووفقنا الله لتحقيقه .
١٧ ــ مناسك الحج .
١٨ ــ مقدمة فى الفرائض .
١٩ ــ مسألة العلو . جزآن .
٢٠ ــ قنعة الأريب فى الغريب .
وله غير ذلك كثير من المؤلفات المباركة المفيدة .

شعره وجماله

وللإمام ابن قدامة نظم كثير حسن ، وشعر رائق طيب ، وقيل إن له قصيدة فى عويص اللغة ومن شعره ماذكره سبط ابن الجوزى قوله رحمه الله :

لا تجلسنَّ بباب من يأبى عليك وصول داره
وتقول حاجاتى إليـ ـه يعوقها إن لم أدَاره
واتركْهُ واقْصِد ربَّها تَقْضَى وربُّ الدار كاره[1]

ومما أنشده لنفسه وقد قارب الثمانين من عمره :

أبَعْدَ بياضِ الشعر أعمر مسكناً سوى القبر إنى إن فعلتُ لأحمقُ
يخبرنى شيبى بأنى ميِّت وشيكا فينعانى إلىَّ ويَصْدُق
يُخرق عمرى كل يوم وليلة فهل مستطاعٍ رفع مايتخرق
كأنى بجسمى فوق نعشى ممدداً فمن ساكت أو معول يتحرق
إذا سئلوا عنى أجابوا وعوَّلوا وأدمُعُهم تنهَّل هذا الموفق
وغُيِّبتُ فى صدع من الأرض ضيق وأودعت لحدا فوقه الصخر مطبق
ويحثو علىَّ الترب أو ثق صاحب ويسلمنى للقبر من هو مشفق
فيارب كن لى مؤنساً يوم وحشتى فإنى بما أنزلتـه لمصدق
وما ضرنى أنى إلى الله صائر ومن هو أهلى أبر وأرفق[2]

(١) انظر الأبيات فى البداية والنهاية لابن كثير ١٣/١٠٠ .
(٢) الأبيات فى البداية والنهاية ١٣/١٠٠

ومن شـــعرة أيضاً :

كـؤس المـوت دائرة علينا ... وما للمرء بد من نصيب
إلى كم تجعل التسويف دأبا ... أما يكفيك إنذار المشيب ؟
أما يكفيك أنك كل حين ... تمر بغير خل أو حبيب ؟
كأنك قد لحقت بهم قريباً ... ولايغنيك إفراط النحـيب

إلى الرفيـق الأعـلى

والحق أن سيرة هذا الإمام العالم العامل ، ومعالم حياته أكبر من أن تحيط بها مقدمة كتاب[1]. فقد توفي ـ الإمام ابن قدامة رحمه الله ـ يوم عيد الفطر ، وكان يوم سبت ، وحضر جنازته خلق لايحصيهم إلا الله ، وكان ذلك سنة عشرين وستمائة من الهجرة المباركة ، فرحمة وغوراً لروحه الطاهرة جزاء ماقدم للعلم والعلماء ، ولحقنا به على أحسن حال . وجعل خير أيامنا يوم لقاء ربنا ﴿ **رَبَّنا لاتزغ قلوبنا بعد إذْ هديتنا وهبْ لنا من لدنك رحمةً إنك أنت الوهاب** ﴾

(١) إذا أردت معرفة الزيادة عن حياة العلامة موفق الدين بن قدامة فعليك بالمراجع الأتية :
١ ـ ذيل الروضتين لأبي شامه الشافعي ص ١٣٩ ومابعدها .
٢ ـ فوات الوفيات ٤٣٣/١ ، ٤٣٤ .
٣ ـ مرآة الزمان ٦٢٧/٨ ، ٦٣٠ .
٤ ـ العبر ٧٩/٥ .
٥ ـ شذرات الذهب ٨٨/٥ - ٩٢ .
٦ ـ دول الإسلام ٩٣/٢ .
وغيرها من المصادر التي تحدثت عنه رحمه الله

بين يدى الكتاب

والكتاب الذى بين يديك – أيها القارىء – سماه مؤلفه بكتاب « الاعتقاد » .

ذلك لأنه يحدثنا فيه عن أصول عقيدة المسلم وماتتحدث عنه من إلهيات ، ونبوات ، وسمعيات . وقد كتبه بأسلوب سهل ميسر لاتعقيد فيه ، وسار فى منهجه على مااعتمده أهل السنة والجماعة فى كل موضوعات الكتاب .

وهذا الأسلوب شبيه بأسلوب الإمام ابن تيمية فى كتابه « العقيدة الواسطية » وبأسلوب الإمام ابن القيم فى « قصيدته النونية » .

والحق أنه كتاب، ينفع طلاب العلم والمعرفة ، ويدلهم على معرفة عقيدتهم الصافية .

obeikandl.com

توثيق نسبة الكتاب لابن قدامة

وبالرجوع إلى كتب التراجم نؤكد صحة نسبة الكتاب إلى العلامة ابن قدامة المقدسي فقد ذكره الحافظ ابن رجب الحنبلي في الذيل على الروضتين «١٣٩/٢» باب ذكر تصانيفه، وكان مما قاله : فمن تصانيفه ـ يعني ابن قدامة ـ في أصول الدين «البرهان في مسألة القرآن» جزء ، «جواب مسألة وردت من «صرخد في القرآن» ، و «الاعتقاد» .

كما ذكره الذهبي العلامة في كتابه «سير أعلام النبلاء» «١٦٨/٢٢» فقال : «صنف» المغني في عشر مجلدات و «الكافي» و «المقنع» و «مختصر الهداية» و «الاعتقاد» .

وذكره العلامة العماد الحنبلي في كتابه «شذرات الذهب» ٩٠/٥ قائلاً :

قال العلامة ابن رجب : كان ـ أي ابن قدامة المقدسي ـ كثير المتابعة للمنقول في باب الأصول وغيره ، ولا يرى إطلاق مالا يؤثر من العبارات ، ويأمر بالإقرار والإمرار لما جاء في الكتاب والسنة من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تأويل ولا تعطيل .

ومن تصانيفه في أصول الدين «مسألة العلو» و «الاعتقاد» .

وبهذا نكون قد أكدنا توثيق نسبة كتاب «الاعتقاد» لمؤلفه .

منهج التحقيق

هذا وقد سرت فى تحقيق هذا الكتاب على المنهج التالى :

١ ــ قمت بضبط الآيات القرآنية وعزوها إلى سورها .
٢ ــ خرجت الأحاديث النبوية من مظانها ، وبينت درجتها من الصحة والضعف وغيره .
٣ ــ فسرت ماغمض من الألفاظ العربية الواردة فى الكتاب .
٤ ــ فصلت ماأجمله المؤلف فى كثير من موضوعات الكتاب .
٥ ــ وضعت عناوين لموضوعات الكتاب تيسيراً على القارىء .
٦ ــ قدمت للكتاب ، وترجمت لصاحبه ليتعرف القارىء على شخصيته ودرجته العلمية .
٧ ــ وضعت علامات الترقيم ليعلم القارىء بداية الجمل ونهايتها .

والله أسأل أن يتوفانا على كلمة « الإخلاص » وأن يحشرنا تحت لواء خاتم النبيين ، وأن يجعل عملى هذا فى ميزان الحسنات ، يوم يقوم الناس لرب العالمين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

عادل عبد المنعم أبو العباس

الجيزة فى : ١١ من ربيع الأول سنة ١٤١٠هـ
١١ أكتوبر سنة ١٩٨٩م

الاعتقاد

للإمام العلامة موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي

obeikandl.com

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المحمود بكل لسان ، المعبود فى كل زمان ، الذى لايخلو عن علمه مكان ، ولا يشغله شأن عن شأن ، جل عن الأشباه[1] والأنداد[2] ، وتنزه عن الصاحبة والأولاد ، ونفذ حكمه فى جميع العباد ، لاتمثله العقول بالتفكير ،ولا تتوهمه[3]القلوب بالتصوير ، ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وهو السميعُ البَصِيرُ** ﴾[4] . له الأسماء الحسنى[5] ، والصفات العلى[6] ، ﴿ **الرحْمنُ على العَرْشِ استَوى لهُ مافى السمواتِ ومافى الأرض وما بينهُما وَمَا تَحْتَ الثرىَ وإنْ تَجْهَر بالقوْلِ فإنَّهُ يَعْلمُ السرَّ وأخْفَى** ﴾[7] . أحاط بكل شىء

---

(١) الأشباه : النظائر والمماثلة . يقال : أشْبَهَ الشىءُ الشىءَ ماثله ، والشبه المثل . وشبَّه عليه الأمر أبهمه حتى اشتبه بغيره ، وشبَّه الشىء بالشىء : مثَّله به . وتشبه بغيره : ماثله وجاراه . واشتبه وتشابه بمعنى تماثل وأشبه بعضه بعضا . قال تعالى : ﴿ **والزيتُونَ والرُّمانَ مشتبها وغيرَ متشابه** ﴾ وقال جل من قائل : ﴿ **فيتبعون ماتشابه منه إبتغاءَ الفتنة وابتغاء تأويله** ﴾ أى ماتماثل فاحتاج إلى تمييز ونظر ، فهم يتبعونه للجدال والخلاف .و﴿ **تشابهت قلوبهم** ﴾ أى تماثلت فى الضلال . انظر المعجم القويم للقرآن الكريم ٣٤١ ، ٣٤٢ .

(٢) الأنداد : جمع ند ، وهو المثل والنظير قال تعالى : ﴿ **فلا تجعلوا لله أندادا** ﴾ أى أمثالاً شركاء .

(٣) التوهم عند المناطقه هو إدراك المعنى الحرفى للمحسوس . والوهميات هى قضايا كاذبة يحكم بها الوهم فى أمور غير محسوسة .

(٤) الشورى آية ١١ .

(٥) أسماء الله الحسنى لايحصيها العد ، ولاتحيط بها عقولنا ، وما قاله النبى ﷺ من « **أن لله تعالى تسعا وتسعين أسماً من أحصاها دخل الجنة** ﴾ لايفيد الحصر ، فقد قال فى حديث آخر وهو يدعو ربه « **أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك** » فدلَّ ذلك على أن أسماء الله تعالى لايحصيها إلا هو تباركت أسماؤه .

(٦) الصفات : جمع صفة ، والصفة هى العلامة المميزة للشىء . يقال : وصفه يصفه وصفا وصفة ذكر نعوته وخصائصه وعلاماته التى يعرف بها .

وفى القرآن قوله سبحانه : ﴿ **تعالى الله عما تصفون** ﴾ أى تعالى عن الوصف الذى يصفونه به مما لايليق بكماله كوجود شريك له ، أو ابن أو غير ذلك من صفات النقص .

(٧) سورة طه الآية : ٥ ـ ٧ .

علماً ، وقهر كل مخلوق [1] عزة وحكماً ، ووسِعَ كل شيء رحمة وعلماً ﴿ **يَعْلَمُ مابيْنَ أيدِيهم وما خلْفَهمُ ولايُحِيطُونَ بِهِ علماً** ﴾ [2] .

---

(١) **قهر** : غلب ، يقال يقهره قهرا : غلبه وأذله ومنه قوله تعالى : ﴿ **فأما اليتيم فلا تقهر** ﴾ والقاهر : اسم فاعل بمعنى المسيطر على الخلق ﴿ **وهو القاهر فوق عباده** ﴾ .
والقهار : اسم من أسماء الله الحسنى ، وهو صيغة مبالغة .

(٢) طه آية ١١٠ .

obeikandl.com

صفات الله وأقوال أهل السنة فيها

موصوف بما وصف به نفسه فى كتابه العظيم ، وعلى لسان نبيِّه الكريم .

وكل ماجاء فى القرآن ، أو صحَّ عن المصطفى عليه الصلاة والسلام من صفات الرحمٰن وجب الإيمان به وتلقيه بالتسليم والقبول ، وترك التعرض له بالرد والتأويل ، والتشبيه والتمثيل . وما أشكل من ذلك وجب إثباته لفظاً وترك التعرض لمعناه ، ونرد علمه إلى قائله . ونجعل عهدته على ناقله اتباعاً لطريق الراسخين فى العلم الذين أثنى الله عليهم فى كتابه المبين بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **والراسِخُونَ فى العِلْم يقولونَ آمنا به كُلٌّ مِنْ عِنْدِ ربنا وَمَا يذكَّرُ إلا أولوا الألْبَاب** ﴾(١) . وقال فى ذمِّ مبتغى التأويل لمتشابه تنزيله : ﴿ **فأمَّا الذينَ فى قلوبهم زيْغٌ فيتبعُونَ ماتشابَهَ مِنْهُ ابتغاءَ الفتنة وابتغاءَ تأويلِه ومايعْلمُ تأويلهُ إلا الله** ﴾(٢) فجعل ابتغاء التأويل علامة على الزيغ وقرنه بابتغاء الفتنة فى الذم ، ثم حجبهم عمَّاً أمّلوهُ ، وقطع أطماعهم عمَّا قصدوه بقوله سبحانه : ﴿ **وما يعلمُ تأويلهُ إلا الله** ﴾(٣) قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل (٤)

---

(١) آل عمران : ٧ وهذا هو مذهب السلف فى آيات الصفات ، ومذهب الخلف التأويل من غير تشبيه ولاتمثيل ، والعلماء يقولون : رأى السلف أسلم ، ورأى الخلف أحكم .

(٣) سورة ال عمران اية ٧ وهذه الاية الكريمة تقرر أن القرآن فيه محكم وفيه متشابه ، والمحكم لايتأتى فيه الجدال والمراء ، والمتشابه يتأتى فيه المراء والجدال ، ودعاة الفتنة فى كل عصر لايعمدون إلى المحكم من القرآن الكريم إذ أنهم لايجدون فيه بغيتهم ، وإنما يعمدون إلى المتشابه ، فيأخذون منه مايريدون ، وهم أولئك الذين فى قلوبهم مرض وزيغ ، أما أنصار الحق الأبلج فهم يعلمون أن الله إنما أنزل المتشابه ليبتلى الناس به وخلق معه طريقا واضحة ورسم معه منهجاً قويما لمن أراد أن يستقيم ، فمن استعصم بالحق رد المتشابه إلى المحكم لأنه أم الكتاب ، وحمل آيات العقائد المتشابهة على مايفهمه من آيات العقيدة المحكمة ثم هو محكوم أيضاً فى جانب العقيدة بقانون عام ، ومحكوم عقلاً بوجوب تقديس الله الخالق المدبر لهذا الكون ، فإذا استغلق الأمر على المرء كأن يريد أن يفهم من القرآن أو النص حقيقة مراد الله رد ذلك كله إلى الله إذا أنه لايعلم مآل كل شيء وحقيقته إلا الله ، والعلماء حول قضية المتشابه وإمكان فهمه منقسمون فمنهم من يرى أن المتشابه لايعلمه إلا الله ، ومنهم من يرى أن الله يعلمه والراسخون فى العلم يعلمونه كذلك ويؤيد الرأى الثانى حجة عقلية مفادها أن خطاب الله عز وجل للناس يجب أن يكون مفهوماً كله وإلا فإننا لا نجد معنى لخطاب الناس بما يجهلون .

(٣) آل عمران آية : ٧ .

(٤) هو الإمام العلامة شيخ الإسلام أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانى أحد أعلام الإسلام ، ولد – رضى =

رضى الله عنه – فى قول النبى ﷺ « **إن الله ينزل إلى سماء الدنيا** »[1] و « **أن الله يُرى يوم القيامة** »[2] .. وما أشبهه[3] : هذه الأحاديث نؤمن بها ، ونصدق بها ، لا كيف ولا معنى ، ولا نرد شيئاً منها ، ونعلم أن ماجاء به الرسول حق ، ولا نرد على رسول الله ﷺ ، ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه بلا حَدٍ ولا غاية[4] ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميعُ البصير** ﴾ ونقول كما قال ، ونصفه بما وصف به نفسه ، لانتعدى ذلك ، ولايبلغه وصف

= الله عنه – ببغداد فى شهر ربيع الأول سنة ١٦٤هـ ، ونشأ بها يتيماً فقد ذكر هو أنه لم ير أباه ، فقد مات وهو لم يبلغ درجة الإدراك بالرؤية ، وتولت أمه تربيته برعاية عمه ، ووجهته إلى طلب العلم منذ نشأته ، وقد ظهرت عليه منذ اليوم الأول لسماع العلم علامات النجابة والتقى ، وأخذ علمه عن كبار علماء عصره من أمثال إبراهيم بن سعد ، وإسماعيل بن علية ، وغيرهما من العلماء الثقات وتفوق أحمد بن حنبل حتى صار علماً بارزاً يشار إليه بالبنان ، وأستاذاً يلتف حوله الأذكياء من التلاميذ ، فقد تتلمذ على يديه أئمة عظام منهم الإمام البخارى ، والإمام مسلم ، والإمام أبو داود وغيرهم ، وقد ابتلى أحمد فى نهاية حياته ، واحتمل من المكاره ماينوء بحمله غير أولى العزم من الأتقياء ، وذلك فى قضية « القول بخلق القرآن .. التى أشاعها البعض من أهل البدع . وللإمام أحمد مؤلفات من أعظمها « المسند » و « الزهد » وغيرهما . مات رحمه الله سنة ٢٤١هـ . له ترجمة فى حلية الأولياء لأبى نعيم ١٦١/٩ ، وطبقات الحنابلة ٤/١ ، وتذكرة الحفاظ للذهبى ٤٣١/٢ ، وتهذيب التهذيب لابن حجر ٧٢/١ .

(١) إشارة إلى الحديث الصحيح المتفق على صحته قوله ﷺ : « **ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الأخير ،فيقول : من يدعونى فأستجيب له ؟ من يسألنى فأعطيه ؟ من يستغفرنى فأغفر له ؟** » .

(٢) يشير بهذا الجزء إلى الحديث الصحيح الذى أخرجه البخارى ومسلم ولفظه : كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر وقال : « **إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لاتضامون فى رؤيته ، فإن استطعتم أن لاتغلبوا على صلاةٍ قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا** » ثم قرأ : ﴿ **وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمْسِ وقَبل غُروبهَا** ﴾ (طه الآية ١٣٠) ، وهناك أحاديث أخرى تتحدث عن الرؤية وغيرها من الأحاديث التى توضح نظر العبد إلى ربه يوم القيامة .

(٣) أى من الأحاديث التى تتحدث عن صفات الإله العظيم تبارك وتعالى كقوله ﷺ : « **لله أشد فرحاً بتوبة عبده المؤمن التائب من أحدكم براحلته** » (متفق عليه) . وقوله : « **يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة** » (متفق عليه) وقوله : « **لا تزال جهنم يُلقى فيها وهى تقول : هل من مزيد ؟ حتى يضع رب العزة فيها رجله فينزوى بعضها إلى بعض فتقول : هل من مزيد** » (متفق عليه) وما أشبهها .

(٤) انظر مقولة أحمد بن حنبل التى بين يديك فى مختصر الصواعق المرسلة لابن الموصلى ٢٥١/٢ ، ومناقب أحمد للإمام ابن الجوزى ص ١٥٦ ، وترجمة الإمام أحمد من تاريخ الإسلام للإمام الذهبى ص٢٧ ط دار الوعى بحلب . =

الواصفين ، نؤمن بالقرآن كله محكمة ومتشابهه ، ولانزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنعت، ولانتعدى القرآن والحديث، ولانعلم كيف كنه ذلك إلا بتصديق الرسنول ﷺ وتثبيت القرآن .

قال الإمام محمد بن إدريس الشافعي[1] ـ رضى الله عنه : « آمنتُ بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله وعلى هذا درج[2] السلف وأئمة الخلف ـ رضى الله عنهم ـ

= بقى لنا أن نقول : اعلم أن الإمام أحمد بن حنبل – رضى الله عنه – رأى حوله فرقاً كثيرة أخذت اتتناظر فيما بينها وتنشر عن طريق هذه المناظرات أفكارها الخاصة بين المسلمين ، وكان من هذه الفرق من حكّم العقل فى النص ، فإن كان النص قرآناً متعارضاً مع ماوضعه من أصول فإنه يأخذ فى تأويله بما يتفق مع هذه الأصول والقواعد ، وإذا كان النص حديثاً نبوياً ، فإنه إذا استطاع تأويله أوله ، وإذا عجز عن ذلك رفضه ، وطعن فى الحديث سنداً ومتناً ، ومنهم من كان يأخذ بمدلول اللفظ ، وبمعناه المتبادر منه ، فكان يصف الله تعالى بما يقتضى تشبيهاته بمخلوقاته .

فرأى الإمام أحمد الخطر الشديد على النقل ، من قرآن وسنة ، وعلى العقيدة أيضا . لذلك أعلن عقيدة أهل السنة والجماعة ، وأظهر مذهب السلف ، وكانت هذه العقيدة تتلخص فى الإيمان والتسليم بما جاء وصفاً لله تعالى على مراد الله تعالى ، ومراد رسوله – ﷺ فكان الإمام أحمد يصف الله بما وصف به نفسه بلا تأويل ولا تشبيه ، وكان يقرأ الآيات والأحاديث الواردة فى هذا الباب ولايزيد على ذلك ، وكان يرى أن تفسيرها قراءتها والسكوت عليها . فعقيدته – رضى الله عنه – إنما هى إيمان وتسليم بكل ماجاء فى الكتاب والسنة ، وتفويض المعنى إلى الله.ولكن روى أن الإمام أحمدا أجاز التأويل فى بعض المواضع ، وكانت عقيدته رداً على الفرق الأخرى التى حكمت العقل فى النصوص ، وفسرتها على حسب أهوائها ، وضلت بذلك سواء السبيل .

(١) هو الإمام العلامة شيخ الإسلام محمد بن إدريس الشافعى القرشى ، ولد رضوان الله عليه – سنة ١٥٠هـ بغزة فى السنة التى توفى فيها الإمام الأعظم أبو حنيفة بن النعمان ، ولقد مات والد الشافعى ، ومازال هو فى مهده ، فنشأ يتيما فقيراً ، ولكنه عُوض بأمه التقية المؤمنة التى قامت برعايته والعناية به ، فذهبت به إلى العلماء ، فحفظ القرآن ، ودرس الحديث والفقه ، وبرع فى العلم بطريقة لامثيل لها ، ولما بلغ العشرين من عمره ذهب إلى إمام دار الهجرة مالك بن أنس وتلقى على يديه ، وأعجب به مالك رضى الله عنه – إعجاباً باهراً تتلمذ على يد الشافعى الإمام أحمد بن حنبل ، والربيع بن سليمان ، وأبو ثور ، وخلق غيرهم . وقد مدحه شيوخه وتلاميذه فقد قال الربيع بن سليمان : كان الشافعى يفتى وله خمس عشرة سنة ، وكان يحيى الليل إلى أن مات ، توفى رحمه الله فى آخر رجب سنة ٢٠٤هـ . له ترجمة فى البداية والنهاية لابن كثير ٢٥١/١٠ ، وتذكرة الحفاظ ٣٦١/١ ، وطبقات المفسرين للداودى ٩٨/٣ .

(٢) درج : أى مات ، والمراد مات السلف ، وهم على هذا الاعتقاد . يقال : درج قرن بعد قرن ، وهذه آثار قوم درجوا أى انقرضوا ، ودرج فلان أى مات وما ترك نسلاً، ويقال : استدعى هلكته من درج إذا مات .

كلهم متفقون على الإقرار والإمرار[1] والإثبات لما ورد من **الصفات فى كتاب** الله وسنة رسوله من غير تعرض لتأويله ، وقد أُمرنا **بالاقتفاء لآثارهم** ، والاهتداء بمنارهم ، وحُذِّرنا المحدثات ، وأخبرنا أنها من الضلالات . **فقال** النبى ﷺ :

«عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عُضُّوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة »[2] .

وقال عبد الله بن مسعود[3] – رضى الله عنه : **« اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم »**[4] .

---

(١) الإمرار : الإحكام والأصالة يقال : إنه لذو مِرَّة : أى عقل وأصالة وإحكام ، والمعنى أن أهل السنة يقرون بما أثبته الله لنفسه ولايشبهون ولايبحثون عن معنى آيات الصفات بل يؤمنون بها على حقيقتها بدون تأويل .

(٢) حديث صحيح . أخرجه ابن ماجه فى المقدمة باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين ١٥/١ ، ١٦ ، والدارمى فى المقدمة باب إتباع السنة ٤٤/١ ، ٤٥ ، وأبو داود فى كتاب السنة باب فى لزوم السنة ٢٦١/٢ ، والحاكم فى مستدركه كتاب العلم ٩٦/١، ٩٧ ، وأحمد فى المسند ١٢٦/٤، ١٢٧ ، وانظر صحيح الجامع حيث صححه الألبانى ٤٩٩/١ ، ومعنى قوله : « **الواجذ** » الأضراس ، قيل : أراد به الجد فى لزوم السنة كفعل من أمسك الشيء بين أضراسه وعض عليه منعاً من أن ينتزع .

(٣) هو الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود أبو عبد الرحمن الهذلى صاحب رسول الله ﷺ وخادمه ، وأحد السابقين الأولين ، ومن كبار البدريين ، ومن نبلاء الفقهاء المقرئين ، كان ممن يتحرى فى الأداء ، ويشدد فى الرواية ، ويزجر تلامذته عن التهاون فى ضبط الألفاظ ، وكان من أوعية العلم وأئمة الهدى . مات – رضوان الله عليه – بالمدينة سنة ٣٢هـ وله نحو من ستين سنة . انظر ترجمته فى تذكرة الحفاظ ٣٣/١ ، وطبقات القراء لابن الجزرى ٤٥٨/١ ، وطبقات الحفاظ للسيوطى ص١٤ .

(٤) الأثر صحيح . أخرجه الدارمى فى المقدمة باب فى كراهية أخذ الرأى ٦٩/١ ، والطبرانى فى المعجم الكبير ١٦٨/٩ ، ووكيع فى الزهد رقم ٣١٥ ، وأحمد فى الزهد ص٢٠٢ ، وانظر كتاب « الباعث على إنكار البدع والحوادث » لأبى شامة الشافعى ص٢٤ بتحقيقنا ، من إصدار مكتبة ابن سينا .

وقال عمر بن عبد العزيز[١] - رضى الله عنه - كلاماً معناه[٢] : « قف حيث وقف القوم فإنهم عن علم وقفوا ، وببصر نافذ كفوا[٣] ، ولَهُمْ على كشفها كانوا أقوى ، وبالفضل[٤] لو كان فيها أحرى ، فلئن قلتم حدث بعدهم ، فما أحدثه إلا من خالف هديهم ، ورغب عن سنتهم ، ولقد وصفوا منه مايشفى ، وتكلموا منه بما يكفى ، فما فوقهم محسر[٥] ، وما دونهم مقصر ، لقد قصر عنهم قوم فجفوا[٦] ، وتجاوزهم آخرون فغلوا[٧] ، وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم » .

وقال الإمام أبو عمرو الأوزاعى[٨] - رضى الله عنه - : « عليك بآثار من

---

(١) هو الخليفة الراشد ، والإمام العدل العابد ، عمر بن العزيز بن مروان بن الحكم الأموى أمير المؤمنين ، والتابعى الثقة . روى عن أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ ، وصلى أنسٌ خلفه ، وقال : مارأيت أحداً أشبه صلاة برسول الله ﷺ من هذا الفتى . وروى عن الربيع بن سبرة والسائب بن زيد ، وسعيد بن جبير . قال ابن سعد : كان عمر بن عبد العزيز ثقة مأموناً ، له فقه وعلم وورع ، وروى حديثاً كثيراً . وكان إمام عدل ، شديد الخوف من الله ، غزير الدمعة من خشية الله ، ملك سنتين وخمسة أشهر وخمسة عشر يوماً ، ومات يوم الجمعة لعشر بقين من رجب سنة إحدى ومائة ١٠١هـ . له ترجمة فى تذكرة الحفاظ للذهبى ١١٨/١ ، وحلية الأولياء ٢٥٣/٥ ، وصفة الصفوة لابن الجوزى ٦٣/٢ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطى ص٢٢٨ .

(٢) هذا الكلام موجود بأصله فى سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى الباب السادس عشر باب فى ذكر مذهبه واعتقاده ص ٨٣ ، ٨٤ ، وأصله رسالة بعث بها الخليفة الراشد إلى بعض عماله يوصيه باتباع سنة رسول الله ﷺ ، وينهاه عن مخالفة ذلك و يحثه على السير على آثار السلف الصالح رضوان الله عليهم .

(٣) كفوا : أى امتنعوا عن الخوض .

(٤) المقصود بالفضل هنا الزيادة ، والمعنى أنه لو كان فى الأمر زيادة على ما عرفوه لكانوا أكثر الناس مسارعة إلى معرفته والعمل به .

(٥) المحسر : المزيد على الحاجة ، وكل مازاد عن حده انقلب إلى ضدّه .

(٦) جفا يجفو جفاء : تباعد ، وتجافى : تكلف الجفاء ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **تتجافى جنوبهم عن المضاجع** ﴾ أى تتباعد عن المضاجع المريحه رغبة فى قيام الليل لتتهجد لله خوفاً منه وطمعا فى رحمته .

(٧) غلواً : الغلو هو تجاوز الحد قال تعالى : ﴿ **ياأهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم** ﴾ أى لاتبالغوا فيه ، فتجعلوا المسيح إلهاً أو ابن إله بسبب شدة حبكم إياه .

(٨) هو الإمام العلامة عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعى المكنّى بأبى عمرو إمام أهل الشام فى وقته ، نزيل

سلف وإن رفضك الناس ، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول »[1].

وقال محمد بن عبد الرحمن الأدرمي[2] لرجل تكلم ببدعة ودعا الناس إليها : هل علمها رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي[3] أو لم يعلموها ؟ .

قال : لم يعلموها ...

قال : فشيء لم يعلمْهُ هؤلاء علمته أنت ؟ .

قال الرجل : فإني أقول قد علموها ..

قال : أفوسعهم أن لايتكلموا به ولايدعوا الناس إليه أم لم يسعهم ؟ .

قال : بلى وسعهم .

قال : فشيء وسع رسول الله ﷺ وخلفاءه لايسعك أنت ؟!

فانقطع الرجل .

فقال الخليفة – وكان حاضراً – : لا وسع الله على من لم يسعْه ما وسعهم . وهكذا من لم يسعه ماوسع رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين لهم بإحسان والأئمة من بعدهم والراسخين[4] في العلم من تلاوة آيات الصفات وقراءة أخبارها وإمرارها كما جاءت فلا وسع الله عليه .

= بيروت ولد – رحمة الله تعالى عليه – سنة ثمان وثمانين من الهجرة المباركة ، وتلقى العلم حتى صار علما بارعاً قوى الحجة تقياً ، أخذ العلم عن عطاء ، ومكحول ، وابن سيرين ، وتتلمذ على يديه الإمام الأعظم أبو حنيفة بن النعمان ، والزهري ، وشعبة ، وخلق . قال عنه ابن عيينة : كان الأوزاعي إمام أهل الزمان . وقال ابن سعد : كان الأوزاعي ثقة ، مأمونا ، صدوقاً فاضلاً ، خيراً ، كثير الحديث والعلم والفقه ، توفى سنة ١٥٧هـ انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ ١٧٨/١ ، وتهذيب التهذيب ٢٣٨/٦ ، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص٨٥ .

(١) انظر الأثر في سنن الدارمي باب اتباع السنة وإجتناب البدعة .

(٢) هو الإمام العلامة محمد بن عبد الرحمن الأدرمي أحد علماء السنة وشيوخ الإسلام .

(٣) سوف تأتي ترجمتنا قريبا للخلفاء الأربعة – رضوان الله تعالى عليهم – وبيان مزاياهم وفضائلهم .

(٤) الراسخون : جمع راسخ ، وهو كل من له باع طويل ، وفهم غزير ، وفقه كبير في دين الله تبارك وتعالى ، وفي علوم الإسلام كل في مجال فنه وتخصصه الذي وفقه الله للتفوق فيه .

ما جاء فى القرآن والسنة من آيات الصفات

مما جاء من آيات الصفات قول الله عز وجل : ﴿ ويبقَى وَجْهُ ربّك ﴾(١)

وقوله سبحانه : ﴿ بل يداه مبسوطتان ﴾(٢) .

وقوله تعالى إخباراً عن عيسى عليه السلام أنه قال : ﴿ تعْلمُ مافى نفْسِي ولا أعْلَمُ مافى نفْسِك ﴾(٣) .

وقوله سبحانه : ﴿ وجاء رُبك ﴾(٤) .

وقوله : ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهُم اللهُ ﴾(٥) .

وقوله : ﴿ رضى الله عنهم ورضوا عَنْهُ ﴾(٦) .

وقوله ﴿ يحُبُّهُم وَيُحِبُّونَهُ ﴾(٧) .

وقوله فى الكفار : ﴿ غضِبَ اللهُ عليهم ﴾(٨) .

وقوله : ﴿ اتّبعُوا ما أسخطَ الله ﴾(٩)

وقوله : ﴿ كَرِهَ اللهُ انبعاثَهُم ﴾(١٠)

---

(١) الرحمن آية ٢٧ . وقد أثبت أهل السنة لله ما أثبته لنفسه فى هذه الآية من غير تمثيل ولا تشبيه فهم يقولون : تضمنت هذه الآية إثبات صفة الوجه لله تعالى ، والنصوص فى إثبات الوجه من الكتاب والسنة لاتحصى ، والذى عليه أهل الحق أن الوجه صفة لايقتضى إثباته كونه تعالى مركبا من أعضاء كما يقوله المجسمة ، بل هو صفة لله على مايليق به فلا يشبه وجهها ولايشبهه وجه . وأوّل الخلف الآية فقالوا : إن المراد بالوجه الذات .

(٢) المائدة آية ٦٤ . وقال السلف فيها كالآية السابقة نثبت لله يداً كما أثبتها لنفسه من غير تشبيه ولاتمثيل . وقال الخلف إن المراد باليد القدرة أو النعمة ، وكذلك القول فى الآيات الأخرى السلف يثبتون دون سؤال عن معنى الآية ، والخلف يؤلون من غير تشبيه ولاتمثيل ، ورأى الخلف أحكم ورأى السلف أسلم .

(٣) المائدة : ١١٦ .

(٤) الفجر : ٢٢

(٥) البقرة : ٢١٠.

(٦) المجادلة : ٢٢ .

(٧) المائدة : ٥٤ .

(٨) الفتح : ٦.

(٩) محمد : ٢٨ .

(١٠) التوبة : ٤٦ .

obeikandl.com

.....

.....

= هذا وللإمام أبي حامد الغزالي كلام نفيس في المنهج الأمثل مع الخلق في مواجهة النصوص الموهمة للتشبيه فقد قال رحمه الله في كتابه الاقتصاد في الاعتقاد ص ١٤٧ : «الكلام على الظواهر الواردة في هذا الباب طويل ، ولكن نذكر منهجاً في هذين الظاهرين – يقصد آية وحديث تحدث عنهما – وهو أنا نقول : الناس في هذا فريقان : عوام ، وعلماء ، والذي نراه اللائق بعوام الخلق أن لايخاض بهم في هذه التأويلات ، بل ننزع من عقائدهم كل ما يوجب التشبيه ، ويدل على الحدوث ، ونحقق عندهم أنه موجود ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، فإذا ماسألوا عن معاني هذه الآيات زجروا عنها وقيل لهم : ليس هذا بعشكم فادرجوا فلكل علم رجال ، ويجاب بما أجاب به مالك بن أنس – رضي الله عنه – وبعض السلف حيث سئل عن الاستواء فقال : الاستواء معلوم والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة ، والإيمان به واجب . وهذا لأن عقول العوام لاتتسع لقبول المعقولات ، ولا إحاطتهم باللغات تتسع لفهم توسعات العرب في الاستعارات وأما العلماء فاللائق بهم تعرف ذلك وتفهمه ، ولست أقول إن ذلك واجب وفرض عين . إذ لم يرد به تكليف ، بل التكليف التنزيه عن كل مايشبهه بغيره » أهـ .

والحق أن هذا الكلام الذي قرره الإمام الغزالي ، هو الذي نحسبه إن شاء الله أقرب إلى الصواب وقريب من كلام الغزالي ماقرره الإمام ابن الجوزي حيث إنه يرى أن الأخذ بظاهر الآيات تشبيه وتجسيم ، إذ أن ظاهر اللفظ هو ما وضع له ، فلا معنى لليد حقيقة إلا الجارحة . ويقول : إن مذهب السلف هو السكوت عن الآيات ، وليس أخذها على ظاهرها .

ويقول الإمام الفخر الرازي في كتابه « أساس التقديس» : واعلم أن نصوص القرآن لايمكن اجراؤها على ظاهرها لوجوه :

الأول : أن ظاهر قوله تعالى ﴿ **ولتصنع على عيني** ﴾ يقتضي أن يكون موسى – عليه السلام – مستقراً على تلك العين ، ملتصقا بها ، مستعليا عليها ، وذلك لايقوله عاقل .

والثاني : أن قوله تعالى : ﴿ **واصنع الفلك بأعيننا ووحينا** ﴾ يقتضي أن يكون آلة تلك الصنعة هي تلك العين وهذا هو رأي الخلف تجاه تلك النصوص .

أما رأي السلف فهو يتلخص في إجراء آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها مع نفي الكيفية والتشبيه قال شيخ الإسلام ابن تيمية : «ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ، ولاتعطيل ، ومن غير تكييف ولاتمثيل » (العقيدة الواسطية لابن تيمية) وقال الإمام أبو حنيفة في الفقه الأكبر : « ماذكره الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه ، واليد ، والنفس ، فهو من صفاته بلا كيف ، ولايقال : إن يده قدرته أو نعمته ، لأن فيه إبطال الصفة ، ولكن يده صفته بلا كيف » ولا شك أن الفئتين السلف والخلف – هم أهل السنة ، وقد نزهوا الله عز وجل ، واتفقوا على مخالفة الله لمخلوقاته ولكن لابد أن نذكر أن طريقة الخلف أحكم، وطريق السلف أسلم. وعلى هذا فلا مبرر لتكفير بعض الخلف الذين تأولوا الصفات . فرَمْي الذي يفسر « يد الله » بقدرته بالكفر تشدد ومغالاة ، لاسيما أن بعض أهل الحديث كابن دقيق العيد ، قد قبل التأويل إذا كان قريبا . ولكن يبقى مذهب السلف هو الذي تطمئن إليه النفوس ، وتنشرح له الصدور .

ومن السنة قول النبى ﷺ :« ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا »(١)
وقوله : « يَعْجَبُ ربك من الشاب ليْسَت له صبوة »(٢)
وقوله : « يضحك الله إلى رجلين فتل أحدهما الآخر ثم يدخلان الجنة »(٣) .

---

(١) حديث صحيح . أخرجه البخارى فى كتاب التهجد باب الدعاء والصلاة آخر الليل ١/٢٠٠ ، وفى كتاب الدعوات باب الدعاء نصف الليل ٤/١٠١ ، ومسلم فى كتاب صلاة المسافرين باب الترغيب فى الدعاء والذكر فى آخر الليل والإجابة فيه ١/٥٢١ ، ٥٢٢ حديثى ١٦٨،١٦٩ ، وابن ماجه فى كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب ماجاء فى أى الساعات أفضل فى الليل ١/٤٣٥ حديث ١٣٦٦ ، وأحمد فى المسند ٢/٢٦٤، ٢٦٧، ٢٨٢، ٤١٩، ٤٨٧، ٥٠٤ ، كما أخرجه الترمذى فى كتاب الصلاة باب ٢١١ ، وأبو داود فى كتاب السنة باب ١٩ ، وتمام الحديث : « حين يبقى ثلث الليل الآخر ، فيقول الله : من يدعونى فأستجيب له ، من يسألنى فأعطيه ، ومن يستغفرنى فأغفر له » ، قال الإمام النووى فى شرحه على مسلم : هذا الحديث من أحاديث الصفات ، وفيه مذهبان مشهوران للعلماء : أحدهما ، وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين ، أنه يؤمن بها ويأنها حق على مايليق بالله تعالى ، وأن ظاهرها المتعارف فى حقنا غير مراد ولايتكلم فى تأويلها ، مع اعتقاد تنزيه الله عن صفات المخلوق ، وعن الإنتقال والحركات ، وسائر سمات الخلق . والثانى : مذهب أكثر المتكلمين وجماعات من السلف ، وهو أنها تتأول على مايليق بها بحسب مواطنها فعلى هذا تأولوا هذا الحديث تأويلين : أحدهما تأويل مالك بن أنس – رضى الله عنه – وغيره . معناه تنزل رحمته وأمره أو ملائكته ، كما يقال : فعل السلطان كذا ، إذا فعله أتباعه ، والثانى : أنه على الاستعارة ، ومعناه الإقبال على الداعين بالعطف والإجابة واللطف » .

(٢) إسناده ضعيف . أخرجه ابن أبى عاصم فى كتاب السنة باب تعجب ربنا من بعض مايصنع عباده مما يتقرب به إليه ص٢٥٠ ، وقال الألبانى : إسناده ضعيف لسوء حفظ ابن لهيعة ، وانظر أحمد فى المسند ٤/١٥١ وقد ذهب السلف إلى إثبات العجب إلى الله تعالى على حسب مايليق به من غير تأويل ، وقالوا : إن عجبه تعالى ليس ناشئاً عن خفاء فى الأسباب أو جهل بحقائق الأمور كما هو الحال فى عجب المخلوقين بل هو معنى يحدث له سبحانه على مقتضى مشيئته وحكمته وعند وجود مقتضيه وهو الشىء الذى يستحق أن يتعجب منه . وأوّل الخلف العجب تأويلاً يليق بمقام الحق سبحانه .

(٣) حديث صحيح . أخرجه البخارى فى كتاب الجهاد باب الكافر يقتل المسلم كلاهما يدخل الجنة ، ومسلم فى كتاب الإمارة باب بيان الرجلين ، يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة ٣/١٥٠٤ ، ١٥٠٥ حديث ١٢٨ ، ١٢٩ وتمامه : قالوا : كيف يارسول الله ! قال : « يقاتل هذا فى سبيل الله عز وجل فيستشهد ، ثم يتوبُ الله على القاتل فيسْلم ، فيقاتل فى سبيل الله عز وجل فيستشهد » .

وهو من أحاديث الصفات . فأهل السنة والجماعة يثبتون الضحك الوارد فى الحديث لله عز وجل على المعنى الذى يليق به ، والذى لايشبهه ضحك المخلوقين عندما يستخفهم الفرح أو يستفزهم الطرب ، بل هو معنى يحدث فى ذاته عند وجود مقتضيه . وذهب الخلف إلى تأويل ضحكه تعالى على المجازية فأوّلوه بالرضا والقبول .

فهذا وما أشبهه مما صح سنده ، وعدلت رواته[1] ، نؤمن به ولانرده ولانجحده ولانتأوله بتأويل يخالف ظاهره ، ولانشبهه بصفات المخلوقين ، ولا بسمات المحدثين ، ونعلم أن الله سبحانه وتعالى لاشبيه له ولا نظير ﴿ **لَيْسَ كمثله شيء وَهُوَ السميعُ البصيرُ** ﴾[2] . وكل مايخيل فى الذهن أو خطر بالبال فإن الله تعالى بخلافه .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **الرحمٰن على العرش استوى** ﴾[3] .

وقوله : ﴿ **أأمنتم مَنْ فى السماءِ** ﴾[4] .

---

(١) يعنى بذلك كل الأحاديث الصحيحه فهى التى صح سندها وعدلت رواتها ، فالحديث الصحيح هو الذى أتصل سنده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط ضبطاً تاماً من أول السند إلى منتهاه من غير شذوذ ولا علة قادحة .

(٢) الشورى آيه رقم ١١ .

(٣) طه الآية رقم ٥ . وقد ذهب السلف إلى الإيمان بها على ماهى عليه من غير تشبيه ، ولا تمثيل وقال المتأخرة من الأشاعرة بتأويل الآية على وجه يليق به سبحانه من غير تشبيه ولاتمثيل كذلك ، وللإمام الغزالى كلام فى هذا الاستواء ذكره فى كتابه الاقتصاد فى الاعتقاد ١٤٤ ونحن ننقله هنا لبيان رأيه . قال يرحمه الله – « فلنرجع إلى معنى الاستواء والنزول : أما الاستواء ، فهو نسبته للعرش لا محالة ، ولا يمكن أن يكون العرش نسبة إليه إلا بكونه، معلوماً أو مردوداً، أو مقدوراً عليه، أو محلاً مثل محل العرض، أو مكاناً مثل مستقر الجسم ، ولكن بعض هذه النسب يستحيل عقلا وبعضها لا يصلح اللفظ للاستعارة له . أما كونه مكاناً أو محلا كما للجوهر والعرض فاللفظ يصلح له ، ولكن العقل يحيله كما سبق . وأما كونه مقدوراً عليه ، وواقعاً فى قبضه القدرة ، ومسخراتها مع أنه أعظم المخلوقات ، ويصلح الاستيلاء عليه لأن يمتدح به ، وينبه به على غيره الذى هو دونه فى العظم ، فهذا مما لايحيله العقل ، ويصلح له اللفظ فأخلق بأن يكون هو المراد قطعا .

أما صلاح اللفظ له فظاهر عند الخبير بلغة العرب ولسانهم ، وإنما تنبو عن مثل هذا أفهام المتطفلين على لغة العرب ، الملتفتين إليها التفات العرب إلى لغة الترك ، حيث لم يتعلموا منها إلا أوائلها فمن المستحسن فى اللغة أن يقال : استوى الأمير على مملكته حتى قال الشاعر :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق

ولذلك قال بعض السلف – رضى الله عنهم – يفهم من قوله تعالى : ﴿ **الرحمٰن على العرش استوى** ﴾ مايفهم من قوله تعالى : ﴿ **ثم استوى إلى السماء وهى دخان** ﴾ أهـ .

قلت وهذا هو الواجب على العلماء معرفته ، أما العوام فيجابون بمثل ماأجاب به مالك بن أنس ويزجروا إذا أرادوا معرفة الزيادة .

(٤) يثبت السلف لله ماأثبته لنفسه من أنه فى السماء من غير تشبيه ولاتمثيل .

ويقوم الخلف بالتأويل لينفوا عنه تعالى كونه بجهة مخصوصة فقالوا :

وقول النبى ﷺ : « **ربنا الذى فى السماء تقدس اسمك** »[1]

وقال للجارية : « **أينَ الله ؟** » قالت : فى السماء .

قال : « **اعتقها فإنها مؤمنة** »[2]

وقال النبى ﷺ لحصين : « **كم إلها تعبد ؟** » .

قال : سبعة : ستة فى الأرض وواحد فى السماء .

قال : « **من لرغبتك ورهبتك ؟** »

قال : الذى فى السماء .

قال : « **فاترك الستة ، واعبد الذى فى السماء ، وأنا أعلمك دعوتين** » فأسلم فعلمه النبى أن يقول : « **اللهمَّ ألهمنى رشدى ، وقنى شرَّ نفسى** »[3] .

ندَّعى أنه تعالى – ليس فى جهة مخصوصة من الجهات الست ، ومن عرف معنى لفظ الجهة ومعنى لفظ الاختصاص فهم قطعا استحالة الجهات على غير الجواهر والأعراض . ذلك أن الجهات ست : فوق ، وأسفل ، وقدام ، وخلف ، ويمين وشمال . فمعنى كون الشىء فوقاً هو أنه فى حيز من جانب يلى الرأس ، ومعنى كونه تحتا أنه فى حيز يلى جانب الرجل ، وكذا سائر الجهات .

فإن قيل : إن لم يكن مخصوصاً بجهة فوق ، فما بال الأيدى ترفع إلى السماء فى الأدعية طبعاً وشرعاً قلنا : كما أن البيت الحرام قبلة الصلاة ، فكذلك السماء قبلة الدعاء ، والمعبود بالصلاة ، والمقصود بالدعاء منزه عن الحلول فى البيت والسماء ، والخلاصة أن السلف والخلف يحاول كل منهم برأيه أن ينزه الله تعالى عن مشابهة الحوادث .

(١) جزء من حديث ضعيف فى إسناده زيادة بن محمد « لين الحديث » وقد رواه الطبرانى والبيهقى والحاكم . وأحمد فى المسند ٢١/٦ .

(٢) إشارة إلى حديث صحيح . أخرجه مسلم ٢٣/٥ بشرح النووى ، وأحمد فى المسند ٤٤٧/٥ ، وهو من رواية معاوية بن الحكم قال فيه : كانت لى جارية ترعى الغنم قبل أحد ، فاطلعت ذات يوم فإذا ذئب ذهب بشاة ، وأنا رجل من بنى آدم آسف كما يأسفون ، لكنى صككتها صكة ، فأتيت رسول الله ﷺ ، فعظم ذلك على ، فقلت : أفلا أعتقها ؟ قال : ائتنى بها ، فأتيته بها فقال لها : « أين الله » ؟ قالت: فى السماء . قال : « من أنا» ؟ قالت : أنت رسول الله : قال اعتقها فإنها مؤمنة » .

وقد قيل فى تفسير الحديث : إنها كانت خرساء ، وقيل : قالت ذلك بلسان الحال لا بلسان المقال .

والحق أنه يجب أن يزجر العوام عن هذه القضية ، مصداقاً لقول علىٍّ : « من أينَ الأين لايقال له أين ، ومن كيف الكيف لايقال له كيف .

(٣) رواه البيهقى فى كتابه الأسماء والصفات . والترمذى فى الدعوات ٢٤/١٣ وقال : حديث غريب

وفيما نقل من علامات النبى وأصحابه فى الكتب المتقدمة : أنهم يسجدون بالأرض ويزعمون أن إلههم فى السماء .

وروى أبو داود فى سننه أن النبى ﷺ قال : « **إن مابين سماء إلى سماء مسيرة كذا وكذا** » – وذكر الخبر إلى قوله : « **وفوق ذلك العرش والله سبحانه فوق ذلك** »[1].

فهذا وما أشبهه مما أجمع السلف رحمهم الله على نقله وقبوله، ولم يتعرضوا لرده ، ولا تأويله ، ولا تمثيله

سئل مالك بن أنس[2] رضى الله عنه – فقيل : يا أبا عبد الله ! ﴿ **الرحمٰن على العرش استوى** ﴾ .. كيف استوى ؟

فقال : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة . ثم أمر بالرجل فأُخرِجَ .[3]

---

(١) جزء من حديث طويل أخرجه أبو ادود فى سننه كتاب السنة باب فى الجهمية ٤/٢٣١ حديث رقم ٤٧٢٣ ، وذكره البيهقى فى الأسماء والصفات .

(٢) هو إمام دار الهجرة وشيخ الأئمة مالك بن أنس ، ولد – رحمه الله سنة ثلاث وتسعين من الهجرة على أصح الأقوال ، وينتهى نسبه من جهه أبيه إلى ملوك « حمير » فى الجاهلية ، واختلف القدماء فى جدأبيه « أبى عامر بن عمرو » فذهب بعضهم إلى أنه صحابى شهد مع النبى ﷺ جميع الغزوات إلا بدراً ، وقال آخرون : أسلم بعد وفاة الرسول ﷺ . بدأ مالك بالعلم صغيراً ، فأخذ عن كثير من علماء المدينة ، وبرع فى العلوم ، حتى صار علماً من أعلام الإسلام ، وإماماً من الأئمة المجتهدين . صنف كتاب « الموطأ » ، وكان كثير الخشية ، متكلما بالحق ، لاتأخذه فى الله لومه لائم ، تتلمذ الإمام الشافعى على يديه ، وتأثر به ، كما أخذ عنه أبو يوسف القاضى ، صاحب أبى حنيفة – رضوان الله عليهم جميعاً – ومالك بن أنس أحد تلاميذ نافع بن عبد الله بن عمر بن الخطاب . وكفاه بذلك شرفاً وفخراً .

(٣) فى بعض الراويات قال :

« الاستواء معلوم ، والكيف مجهول والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة » وقد نسب هذا القول إلى أم المؤمنين عائشة رضوان الله تعالى عليها .

من صفات الكمال لله

ومن صفات الله تعالى أنه متكلم بكلام قديم[1] يسمعه منه من يشاء من خلقه . سمعه موسى عليه السلام منه من غير واسطة . وسمعه جبريل – عليه السلام – ومن أذن له من ملائكته ورسله .

---

(١) يجعل علماء العقيدة « صفة الكلام » إحدى صفات المعانى الواجبة لله تعالى ، ويعرفونها بقولهم – أعنى صفات المعانى :– هى صفات ثبوتية قديمة قائمة بذات الله تعالى . ومعنى كونها ثبوتية أنها تثبت له – عز وجل – معان تليق بذاته المقدسه . ومن أجل ذلك سميت بصفات المعانى كما سميت بالصفات الثبوتية ، وقد اقتصر الخلف من علماء العقيدة عند حديثهم عن هذه الصفات . على سبع صفات ، وهى القدرة ، والإرادة ، والعلم ، والحياة ، والسمع ، والبصر ، والكلام . لأنها كانت مدار البحث بين علماء الكلام وإلا فالصفات الثبوتية التى وصف بها – الله – نفسه على لسان رسوله وإخوانه من الأنبياء فى كتبه المنزلة عليهم لاتنحصر فى هذه السبع ، فقد وصف نفسه – تعالى – بالحى والقدير ، والحكيم ، والعليم ، والجبار ، وغير ذلك كثير فى آيات القرآن والأحاديث النبوية ، والواجب على المكلف أن يصف الله بما وصف به نفسه من الصفات الثبوتية من تنزيهه– سبحانه – عن المماثلة للحوادث .

أما صفة « الكلام » التى نتحدث عنها فقد عرفها العلماء بقولهم : هى صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى – ليست بحرف ولاصوت ، منزهة عن التقديم والتأخير والترتيب تدل على جميع الأشياء .

ونحن نعلم أن الكلام ينقسم إلى قسمين : كلام نفسى ، وكلام حسى .

فالكلام النفسى : هو القول القائم بالنفس الذى تدل عليه العبارات ، ومايصطلح عليه من الإشارات . أما الكلام الحسى : فهو مايدل على الكلام النفسى من العبارات والإشارات . وقد ذهب أهل السنة إلى إثبات الكلام النفسى لله – تعالى – وعرفوه : بأنه صفة قديمة قائمة بذاته – تعالى – منافية للسكوت وآلامه يدل عليها بالعبارة والكتابة والإشارة . فإذا عبر عنها بالعربية فالقرآن ، أو السريانية فالإنجيل ، أو العبرانية فالتوراة . والمعنى أن المدلول واحد ، وهو الصفة القديمة القائمة بذاته ، وإن اختلفت العبارات . واستعمال الكلام فى المعنى القائم بالنفس أسلوب جرى عليه لسان العرب . تقول : « كان فى نفسى كلام ، وزورت نفسى ، أو كما قال الأخطل :

إن الكلام لفى الفؤاد وإنما جُعل اللسان على الفؤاد دليلاً

وقد ذهبت المعتزلة إلى إنكار الكلام النفسى ، وزعموا أن الكلام ليس إلا الأصوات والحروف . فنفوا كلاماً قائما بالنفس لله تعالى . ورد عليهم أهل السنة بقولهم : إن هذه الحروف والأصوات إنما هى عبارة عن الكلام الحسى ، ونحن لاننكره ، ولكننا نثبت وراءه معنى قائماً بالنفس هو صفة قديمة لله يدل عليه بالعبارة كما يدل عليه بالكتابة والإشارة ، ومن هنا كان كلامه تعالى مسموعاً بآذاننا مقروءً بألسنتنا ، مكتوباً فى مصاحفنا . ومعنى ذلك أن المسموع والمكتوب هو الكلام الحسى الدال على الكلام النفسى وليس هو الكلام النفسى بذاته .

وأنه – سبحانه – يكلم المؤمنين فى الآخرة ويكلمونه ، ويأذن لهم فيزورونه .[1]

قال الله تعالى : ﴿ وكلَّم اللهُ موسى تكليما ﴾[2] .

وقال سبحانه : ﴿ ياموسى إنى أصْطَفيتُكَ على النَّاسِ بِرِسَالاتى وبكلامِى ﴾[3] .

وقال سبحانه : ﴿ منهم من كلم اللهَ ﴾[4] .

وقال سبحانه : ﴿ وما كانَ لِبَشَرٍ أنْ يكلمَهُ اللهُ إلا وحياً أو من وراءِ حجابٍ ﴾[5] .

وقال سبحانه : ﴿ فلمَّا أتاهَا نُودِىَ يامُوسَى إنى أنا ربُّكَ ﴾[6] .

وقال : ﴿ إنَّنِى أنا اللهُ لاإلهَ إلا أنا فاعْبُدْنى ﴾[7] .

وغير جائز أن يقول هذا أحد غير الله .

وقال عبد الله بن مسعود – رضى الله عنه : « إذا تكلم اللهُ بالوحى سمع صوته أهل السماء »[8]

= هذا ، وقد استدل علماء العقيدة من أهل السنة والجماعة على ثبوت الكلام لله – تعالى – بالنقل والعقل ، أما النقل : فقد ذكر المؤلف – رحمه الله – الآيات الدالة على ذلك كقوله سبحانه : ﴿ وكلم الله موسى تكليماً ﴾ وأما العقل : فإنه يقال : لو لم يتصف الله بالكلام لاتصف بالضد وهو البكم ، والبكم نقص يستحيل عليه . وخلاصة الأمر أنه يجب عليك – أيها المسلم – أن تثبت لله صفة الكلام ، وأن تجزم أن الكلام الإلهى ليس ألفاظاً تصنعها الشفتان واللسان ، وتضبطها الرئتان والحنجرة والأسنان ، فذاك شأن الإنسان لا وصف الرحمٰن فهو تعالى ﴿ ليس كمثله شىء وهُوَ السميع البصير ﴾ .

(١) وردت أحاديث صحيحه عن رسول الله ﷺ توضح زيارة المؤمنين ربهم يوم القيامة ومن ذلك مارواه الإمام .

(٢) النساء : ١٦٤ .

(٣) الأعراف : ١٤٤ .

(٤) البقرة : ٢٥٣ .

(٥) الشورى : ٥١ .

(٦) طه : ١١ .

(٧) طه : ١٤ .

(٨) يشير بهذا إلى حديث صحيح أخرجه أبو داود فى سننه ، والبيهقى فى الأسماء والصفات ، وأورده =

رُوِىَ ذلك عن النبى ﷺ .

ورَوَى عبد الله بن أنس عن النبى ﷺ أنه قال : « **يَحْشُر الله الخلائق يوم القيامة عراة حفاةً غُرْلاً بُهْماً ، فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب . أنا الملك أنا الديَّانُ** »[1] .

وفى بعض الأثار أن موسى عليه السلام ليلة رأى النار ، فهالته ، فقزع منها فناداه ربه : ياموسى ! .

فأجاب سريعاً استئناسا بالصوت فقال : لبيك لبيك ، أسمع صوتك ولاأرى مكانك ، فأيْنَ أنت ؟ .

فقال : « **أنا فوقك وأمامك ، وعن يمينك ، وعن شمالك** »[2] .

فعَلم أن هذه الصفة لاتنبغى إلا لله تعالى .

قال : كذلك أنت ياإلهى ، أفكلامك أسمع أم كلام رسولك ؟

قال : « **بل كلامى** »[3] .

= السيوطى فى الجامع الصغير ، والألبانى فى صحيح الجامع ١٣٨/٢ حديث رقم ٤٣٦ ، والسلسلة الصحيحة ١٢٩٣ . ولفظه كاملا عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا تكلم الله بالوحى سمع أهل السماء الدنيا صلصلة كجر السلسلة على الصفا ، فيصعقون ، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل ، حتى إذا جاءهم جبريل ، فُزِّع عن قلوبهم فيقولون : ياجبريل ماذا قال ربُّك ؟ فيقول : الحقَّ ، فيقولون : الحقَّ الحقَّ** » .

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٤٣٨/٢ وقال حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وأحمد ٣٣٢/٢ ، وذكره السيوطى فى البدور السافرة باب ٩٥ حديث ١٦ .

(٢) لاشك فى أن هذه الأوصاف تعنى أنه معه ومعنا – تبارك اسمه – بعلمه ، فاحذر أن تفهم عكس هذا ، فهو سبحانه منزه عن الحلول فى هذه الجهات ، قال تعالى : ﴿ **وهو معكم أينما كنتم** ﴾ بالعلم . واعلم أن كل ماخطر ببالك فالله بخلاف ذلك .

(٣) وهو دليل على أن الله كلم موسى حقيقة بدون واسطة ، وهذا هو الصواب وهو ماتشير إليه آيات القرآن الحكيم .

القـرآن كلام اللـــه

ومن كلام الله – سبحانه – القرآن العظيم ، وهو كتاب الله المبين وحبله المتين ، وصراطه المستقيم[1] ، وتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، على قلب سيد المرسلين ، بلسان عربي مبين ، منزل غير مخلوق[2] ، منه بدأ

(١) هذا الكلام مقتبس من حديث أخرجه الترمذى فى كتاب فضائل القرآن باب ما جاء فى فضل القرآن ١٧٢/٥ حديث ١٧٠٦ وفيه «هو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذى لاتزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يَخْلُق على كثرة الرد.. قال الترمذى: إسناده مجهول، وفى الحرث أحد رجال الإسناد مقال.

واعلم أن للقرآن الكريم تعريفات متعددة ذكرها العلماء فى مظانها ويمكنك مراجعتها فى « الاتقان فى علوم القرآن » للسيوطى ، و« البرهان » للزركشى ، و « مناهل العرفان » للزرقانى وغيرها .

(٢) من المعلوم شرعاً أن القرآن كلام الله القديم، ليس بمخلوق، وعلى هذا اتفق أهل السنة والجماعة ، ومضى المسلمون على قانون السلف ، من أن القرآن كلام الله ووحيه وتنزيله غير مخلوق ، حتى نبعت فرقة من المعتزلة والجهمية فقالوا بخلق القرآن – ويروى أن الجعد بن درهم كان أول من تبنى فكرة نفى الصفات الإلهية ، فنفى الكلام عن الله وزعم أن كلامه تعالى حادث مخلوق ، ولذلك قال بخلق القرآن ، وقد أخذ الجعد هذا الكلام الفاسد من أبان بن سمعان عن طالوت عن لبيد بن عاصم اليهودى ، وتبنت المعتزلة آراء الجهم ، واعتنقت فكرة القول بخلق القرآن ، واستطاعوا أن يقنعوا بعقيدتهم هذه المأمون – أحد الخلفاء المشهورين فى الدولة العباسية – وزينوا له أن القول بخلق القرآن عقيدة أساسية وهامة من عقائد الإسلام ، وحرضوه على إمتحان الناس فى عقائدهم ، وإستجاب المأمون . وكان مصير من خالف قول المعتزلة هو التشريد والطرد ، أو السجن والتعذيب ، بل وصل الأمر إلى حد القتل ، وكانت محنة شديدة ذهب ضحيتها خلق كثير من الفقهاء والمحدثين . واستمرت المحنة قائمة فى عصر المأمون والمعتصم والواثق ، وإشتدت على أهل السنة الذين رفضوا القول بخلق القرآن ، فطال عنتهم ، ولحقهم من التشريد والنكال والعذاب مالا تقوى عليه إلا نفوس امتلأت بقوة إيمان وصبر فى سبيل عقيدة آمنت بأنها على حق ، وأن مايدعو إليه المعتزلة على باطل .

وكان الإمام أحمد بن حنبل ممن وقف فى هذه المحنة موقف الصامد المدافع عن السنة وأهلها ، الذاب عن مذهب السلف الصالح ضد كل الآراء المبتدعة ، وكان أول ماقيل له بعد أن جاء إلى المأمون مكبلاً بالسلاسل : ماتقول فى القرآن؟ قال : كلام الله . قيل: أمخلوق؟ قال : كلام الله ماأزيد على ذلك . فجلد رضى الله عنه ، وسجن فى حبس ضيق ، ثم حُوّل إلى سجن العامة ، ومكث فيه ثلاثين شهرا ذاق خلالها أنواع العذاب والاضطهاد ، ثم أخلى سبيله ، ثم سجن مرة أخرى . ووقف رضى الله عنه فى هذه المحنة بصلابة ، وامتنع عن الإجابة على أسئلة الممتحنين بحرف واحد . كما قتل فى هذه القضية عشرات من كبار الفقهاء والمحدثين . والحق أن سلف الأمة مجمع على أن القرآن كلام الله قديم غير مخلوق ، وسأسوق الأدلة على ذلك . فقد قال على بن أبى طالب عندما حكم فى قضية : « **ما حكمت مخلوقاً وإنما حكمت القرآن** » (راجع شرح السنة ٢٢٨/١) وعن ابن عباس أنه صلى على جنازة فقال رجل: اللهمَّ ربَّ القرآن العظيم اغفر له . فقال ابن عباس : « **ثكلتك أمك ! إن القرآن منه . إن القرآن منه** » (ذكره

وإليه يعود ، وهو سور محكمات وآيات بينات ، وحروف وكلمات . من قرأه فأعربه [1] فله بكل حرف عشر حسنات ، له أول وآخر ، وأجزاء وأبعاض ، متلو بالألسنة ، محفوظ فى الصدور [2] ، مسموع بالآذان ، مكتوب فى المصاحف ، فيه محكم [3] ومتشابه [4] ، وناسخ ومنسوخ [5] ، وخاص

صاحب شرح السنة ٢/٢٣٠ ، ٢٢٩) ، وقال سفيان بن عيينة : أدركت مشايخنا منذ سبعين سنة منهم عمرو بن دينار يقولون : « القرآن كلام الله ليس بمخلوق » (ذكره البخارى فى خلق أفعال العباد ص١٧ ، والبيهقى فى الأسماء والصفات ٣١٥) وكذلك روى عن على بن الحسين ، ومالك بن أنس ، والليث بن سعد ، وحماد بن زيد ، وابن المبارك وأبو حنيفة ، والشافعى ، والبخارى ، ومسلم .. وسلف الأمة جميعاً .

ومن هنا أقول : إن العقيدة الحقة التى يجب أن يعتقدها المسلم هى الإيمان بأن القرآن كلام الله ليس بمخلوق وأن ماذهب إليه المعتزلة والجهمية باطل ومردود . ويكفى على ذلك فساد أدلتهم وبطلانها .

(١) المراد بإعراب القرآن هنا معرفة ألفاظه ، وليس المراد الإعراب المصطلح عليه ، وهو مايقابل اللحن إذ القراءة به ليست قراءة ولا ثواب فيها ، ولذلك قيل : إن إطلاق الإعراب على النحو اصطلاح حادث ، لأنه كان للعرب سجية لا يحتاجون إلى تعلمه ، وتفسير القرآن لايعلم إلا بأن يُسمع من النبى ﷺ ، فالإعراب هنا معناه معرفة ألفاظ القرآن وفهمها .

(٢) لم يوجد كتاب على ظهر الأرض ، وجد من العناية مالقيه كتاب الله العظيم ، فقد توافر العلماء فى كل عصر ومصر على خدمته ، كل فى مجال فنه الذى تخصص فيه ، وهو دليل على مدى إعجاز هذا الكتاب الخالد ، وسيظل الكل يرتشف من بحار أنواره مابقيت السموات والأرض .

(٣) المحكم لغة أصلة المنع تقول : أحكمت بمعنى رددت ومنعت ، والحاكم : المانع لمنعه الظالم من الظلم ، وحكمة اللجام : هى التى تمنع الفرس من الاضطراب .

أما معناه فى الاصطلاح : فهو اسم للكلام الذى أحكم المراد منه ، فلا يحتمل النسخ والتبديل من أحكمت الشىء أتقنته.مثاله : كل آية دلت على توحيد الله وكماله كقوله سبحانه : ﴿ قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ﴾ وقوله : ﴿ الله لا إله إلا هو الحىّ القيوم لاتأخذه سِنَةٌ ولا نوم ﴾ فإن تلك النصوص محكمة لايجريها النسخ . وللعلم : فإن القرآن كله محكم بعد رسول الله ﷺ . أما فى حياته ، فكان من الممكن رفع حكم وتقرير آخر ، حسب حكم الله ، ومراعاته مصالح عباده .

(٤) المتشابه لغة : اشتباه اللفظ فى الظاهر مع اختلاف المعانى كما فى قوله تعالى فى وصف ثمر الجنة : ﴿ وأتوا به مُتَشابِهاً ﴾ أى متفق المناظر مختلف الطعوم .

وأما فى الاصطلاح فمعناه أنه : كل ما انقطع رجاؤنا فى العلم به على حقيقته ، وذلك كالألفاظ المسندة إلى الله فى نحو قوله : ﴿ يَدُ اللهِ فوْقَ أيديهم ﴾ ، وقوله : ﴿ ويبقى وجْهُ ربِّك ﴾ ، فهذه الألفاظ ونحوها لانعلمها على الحقيقة بل ننسبها إلى الله كما نسبها لنفسه ، فكما أنه ليس كمثله شىء فى ذاته ، فكذلك فى صفاته وأفعاله ، فنثبت له ما أثبته لنفسه من غير تحريف ولاتمثيل ولاتشبيه ولاتكييف ، فله يد تليق به ، وله وجه يليق به . أما معرفة ذلك على الحقيقة فهيهات هيهات .

(٥) معرفة الناسخ والمنسوخ من الأمور المهمة لكل من له صلة بالقرآن الكريم وعلومه ، والنسخ فى اللغة .

وعام [1] ، وأمر ونهى ﴿ لا يأتيهِ الباطِلُ من بينِ يدَيْهِ ولا مِنْ خلْفه تنزيلٌ من

= يأتى بمعان متعددة ، منها الإزالة ومنه قوله تعالى : ﴿ فينسخ اللهُ مايُلْقِى الشيْطانُ ثُمَّ يُحكم اللهُ آياته (الحج : ٥٢) ويأتى بمعنى التحويل كتناسخ المواريث – يعنى تحويل الميراث من واحد إلى واحد . ويأتى بمعنى التبديل كقوله سبحانه : ﴿ وإذا بدَّلْنا آيةً مكانَ آيةٍ ﴾ (النحل : ١٠١) هذا وقد قسم العلماء النسخ إلى أربعة أقسام :

(١) نسخ الكتاب بالكتاب .

(٢) نسخ السنة بالسنة .

(٣) نسخ الكتاب بالسنة .

(٤) نسخ السنة بالكتاب .

ولاخلاف بينهم فى جواز القسمين الأولين ، ويختلفون فى القسمين الآخرين .

فنسخ الكتابُ بالكتاب جائز لقوله تعالى : ﴿ مانَنْسَخْ مِنْ آيةٍ أو نُنْسِهَا نأتِ بخيْرٍ منها أو مثلها ﴾ (البقرة : ١٠٦) .

ولقوله جل اسمه : ﴿ وإذا بدَّلنا آيةً مكانَ آيةٍ واللهُ أعْلَمُ بما يُنَزِّلُ ﴾ (النحل : ١٠١) .

ونسخ السنة بالسنة جائز وقد وقع حقاً . فعن أبى العلاء بن الشخير : « **أن النبى ﷺ كان حديثه ينسخ بعضه بعضاً ، كما ينسخ القرآن بعضه بعضاً** » (أخرجه مسلم فى كتاب الحيض باب إنما الماء من الماء) .

مثال ذلك : أنه ﷺ نهى أصحابه عن زيارة القبور ، ثم أباح لهم الزيارة قائلاً : « **كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكركم الآخرة** » . (انظر صحيح الجامع ٤٤٦٠)

أما نسخ الكتاب بالسنة ، فقد قال العلامة ابن عطية : هذا الأمر مختلف فيه ، وحذاق الأمة على الجواز ، وأبى الإمام الشافعى ذلك ، فإنه ذكر عدم الجواز فى كتابه «الرسالة» ص ١٣٧ : ١٤٦ .

وكذلك كان الخلاف فى نسخ السنة بالكتاب .

وعلى كُلٍ فإن الناسخ والمنسوخ موضوع يجب معرفته والعلم به لأهميته فى فهم أصول الإسلام ، وهو موضوع طويل جليل فعلى القارىء الكريم إذا أراد الزيادة فى معرفة هذا الموضوع أن يرجع إلى ماكتبه العلماء فيه ، كأبى عبيد القاسم بن سلام فى كتابه « الناسخ والمنسوخ » وهبة الله بن سلام « الناسخ والمنسوخ » وهو مطبوع بحاشية « أسباب النزول للواحدى » ومكى بن أبى طالب فى كتابه « الإيجاز فى ناسخ القرآن ومنسوخة » وغيرها من المؤلفات .

(١) العام : هو ماتناول أفراداً متحدة الحدود عن طريق الشمول مثل : الرجال .

الخاص : هو ماوضع لواحد منفرداً ، وضعا لغوياً ، سواء كان هذا الواحد واحداً بالجنس كلفظ إنسان فى قوله تعالى : ﴿ إنَّ الإنسانَ خُلِقَ هلوعاً ﴾ وقوله : ﴿ إنَّ الإنْسانَ لفى خُسْرٍ ﴾ .

أو بالنوع كلفظ رجل فى قوله : ﴿ وجاء من أقْصَى المدينةِ رجُلٌ يَسْعَى ﴾ .

حكيمٍ حميدٍ ﴾ [1] ﴿ قُلْ لئنِ اجتمعَتِ الأنسُ والجنُّ علىَ أن يأتُوا بمثلِ هذا القرآنِ لايأتُونَ بمثلِهِ ولوْ كانَ بَعْضُهُم لبعْضٍ ظَهِيراً ﴾ [2] .

وهو هذا الكتاب العربى الذى قال فيه الذين كفروا : ﴿ لن نؤمِنَ بهِذَا القرْآنِ ﴾ [3] وقال بعضهم : ﴿ إنْ هَذا إلاَّ قولُ البشَرِ ﴾ [4] ، فقال الله سبحانهُ : ﴿ سأصْليهِ سَقَر ﴾ [5] وقال بعضهم : هو شعر . فقال الله : ﴿ وما علمناهُ الشِّعْرَ وماينبغى لهُ إن هُوَ إلا ذِكْرٌ وقرآنٌ مبينٌ ﴾ [6] .

فلما نفى الله عنه أنه شعر ، وأثبته قرآناً لم يبق شبهةٌ لذى لُب ، لأن القرآن هو هذا الكتاب العربى الذى هو كلمات وحروف وآيات لأن ماليس كذلك لايقول أحد إنه شعر .

وقال عز وجَلَّ : ﴿ وإنْ كُنْتُم فى ريْبٍ مما نَزَّلنا على عبدنا فأتوا بسُورةٍ من مثله وادعوا شُهَداءَكُم مِنْ دونِ اللهِ ﴾ [7] .

ولا يجوز أن يتحداهم بالإتيان بمثل مالا يدرى ماهو ولا يعقل .

وقال تعالى : ﴿ وإذا تتلى عَلَيْهم آياتُنَا بيناتٍ قال الذينَ لايرجونَ لقاءنا ائْتِ بقُرْآنٍ غَيْرِ هذا أو بدِّلْهُ قل مايكونُ لى أنْ أبدِّلهُ من تلقاءِ نفسى ﴾ [8] فأثبت أن القرآن هو الآياتُ التى تُتْلَى عليهم .

أو للشخص كقوله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رسُولُ اللهِ ﴾ فلفظ « محمد » سمى به أشخاص كثيرون ومع ذلك فإنه لايتناول فى هذا المقام ، إلا سيدنا محمد ﷺ .

فالخاص إذاً هو : مايُفهم منه معنى واحد على الانفراد بالمعنى اللغوى .

(١) فصلت : ٤٢ .
(٢) الإسراء : ٨٢ .
(٣) سبأ : ٣١
(٤) المدثر : ٢٥
(٥) المدثر : ٢٦
(٦) يس : ٦٩
(٧) البقرة : ٢٣
(٨) يونس : ١٥ .

وقال تعالى : ﴿ بل هو آيات بيناتٌ فى صُدُورِ الذينَ أوتوا العِلْمَ ﴾[1]

وقال تعالى : ﴿إنه لقرآنٌ كريمٌ فى كِتَابٍ مكنونٍ. لايمسُّه إلا المطهَّرون ﴾[2] .

بعد أن أقسم على ذلك .

وقال تعالى : ﴿ كهيعص ﴾[3] . ﴿ حم . عسق ﴾[4] .

وافتتح تسعا وعشرين سورة بالحروف المقطعة[5] .

وقال النبى ﷺ: « من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف منه عشر

---

(١) العنكبوت : ٤٩

(٢) الواقعة : ٧٦ - ٧٨

(٣) أول سورة مريم .

(٤) أول سورة الشورى .

(٥) الحروف المقطعة هى الحروف التى بدأت بها بعض سور القرآن الكريم كقوله تعالى : ﴿ الم ﴾ و ﴿ حم ﴾ و ﴿ نُ ﴾ و ﴿ ص ﴾ وغيرها ، وقد اختلف العلماء فى المراد من هذه الحروف ، ويمكن أن نجمل خلاف العلماء حول الحروف المقطعة فى رأيين رئيسيين :

الرأى الأول : ويرى أصحابه أن المعنى المقصود منها غير معروف ، فهى من المتشابه الذى استأثر الله بعلمه ، وإلى هذا الرأى ذهب ابن عباس فى إحدى الروايات عنه ، كما ذهب إليه الشعبى وسفيان الثورى وغيرهم من العلماء . فقد أخرج ابن المنذر وغيره عن الشعبى أنه سئل عن فواتح السور فقال : إن لكل كتاب سراً ، وإن سرَّ هذا القرآن فى فواتح السور . ويُروى عن ابن عباس أنه قال : عجزت العلماء عن إدراكها ..

قلت : وهذا الرأى ضعيف جداً . ذلك أن احتساب هذه الأحرف فى المتشابه الذى استأثر الله بعلمه يجعل ذكرها بين تراكيب القرآن عبثا أو لغواً . ومعاذ الله أن يقع فى القرآن شىء من ذلك ، فمن المقرر الثابت أن القرآن نزل لنتدبر آياته ، وفى جهل المؤمنين به وببعض تراكيبه تعمية وإبهام يحولان دون المقصود من إنزاله على قلب محمدٍ ﷺ خصوصاً وأن هذه الأحرف قد تكررت فى ربع القرآن .

الرأى الثانى : ويذهب أصحابه إلى أن لهذه الأحرف المقطعة مفاهيم ومرادات يمكن حملها عليها . وتبعا لذلك يشرع الاجتهاد لتبين تلك المفاهيم والمرادات ، وقد طلع العلماء القائلون بذلك على الناس بآراء زيدت على العشرين . والذى يمكننا أن نختاره من تلك الآراء ونحسبه إن شاء الله صواباً هو أن هذه الأحرف وضعت فى مستهل طائفة من سور القرآن لتنبه إلى خصيصة تفردت بها كل سورة من السور التى بدأت بها ، وقد تختلف هذه الخصيصة من سورة إلى أخرى . ذلك لأن لأحرف المقطعة قد تقع فى أول السورة لفتاً لأنظار المتعبدين بتلاوتها إلى قصة لم تتكرر فى غيرها من سور القرآن ، فسورة البقرة =

حسنات ، ومن قرأه ولحن فيه فله بكل حرف حسنة »[1]

وقال ﷺ : « اقرأوا القرآن قبل أن يأتى قومٌ يقيمون حروفه إقامة السهم لا يجاوز تراقيهم يتعجلون أجره ولا يتأجلونه »[2]

وقال أبو بكر وعمر – رضى الله عنهما : إعراب القرآن أحب إلينا مَن حفظ بعض حروفه .

وقال على رضى الله عنه : من كفر بحرف منه فقد كفر به كله »[3]

واتفق المسلمون على عدِّ سور القرآن ، وآياته ، وكلماته ، وحروفه ، ولاخلاف بين المسلمين فى أن من جحد من القرآن سورة أو آية أو كلمة أو حرفاً متفقاً عليه أنه كافر ، وفى هذا حجة قاطعة على أنه حروف .

= إحدى السور التى بدأت بالأحرف المقطعة تضمنت فى آياتها تلك القصة التى استحوذت على العجب كله ، ولم تتكرر فيما سواها من السور وهى قصة البقرة التى سميت باسمها ، وأنت خبير بأن هذه القصة خليقة بلفت النظر إليها . وكذلك حدث فى كل السور التى بدأت بالحروف المقطعة .

وبقى أن أبين للقارىء الكريم السور التسع والعشرون التى بدأت بالحروف المقطعة وهى كما يلى :

١ – سورة البقرة	٢ ــ سورة آل عمران		٣ ــ سورة الأعراف
٤ ــ سورة الحجر	٥ ــ سورة إبراهيم		٦ ــ سورة هود
٧ ــ سورة يونس	٨ ــ سورة يوسف		٩ ــ سورة الرعد
١٠ ــ سورة مريم	١١ ــ طه		١٢ ــ النمل
١٣ ــ الشعراء	١٤ ــ النحل		١٥ ــ لقمان
١٦ ــ العنكبوت	١٧ ــ الروم	١٨ ــ السجدة	١٩ ــ الأحقاف
٢٠ ــ الجاثية	٢١ ــ الزخرف	٢٢ ــ الشورى	٢٣ ــ الدخان
٢٤ ــ فصلت	٢٥ – سورة القصص ٢٦ ــ ص	٢٧ ــ ق	٢٨ ــ يس .

٢٩ ــ ن

وإذا أردت الزيادة فى هذا الموضوع فعليك بالرجوع إلى كتب التفسير وبخاصة تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، والمحرر الوجيز لابن عطية ، وكذلك كتب علوم القرآن .

(١) ذكره الأشمونى فى منار الهدى فى بيان الوقف والابتدا ص ٢٤ ، ٢٥ فى بيان ثواب قارىء القرآن .

(٢) هذا الأثر والذى قبله ، ذكره السيوطى فى الإتقان فى علوم القرآن ، والزركشى فى البرهان فى علوم القرآن بنفس الألفاظ ، وهذه حقيقةٌ لأن القرآن ، كله كلام الله ، فمن كذب بحرف منه فقد كذب به كله ، أعاذنا الله تبارك وتعالى من ذلك .

(٣) قال العلامة الأشمونى نقلا عن السيوطى وغيره : قد عدَّ أربعه من الصحابة الآى : عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عباس ، وأنس بن مالك ، وعائشة ، ونقله عنهم التابعون ، فمن أهل المدينة عروة بن الزبير ، وعمر بن عبد العزيز ، ومن أهل مكة عطاء بن أبى رباح وطاوس ، ومن أهل البصرة الحسن البصرى ، =

إنكم سترون ربكم

والمؤمنون يرون ربهم فى الآخرة بأبصارهم[1] ، ويزورونه ويكلمهم ويكلمونه .

=وابن سيرين ومالك بن دينار ، ومن أهل الكوفة سعيد بن جبير ، وزر بن حبيش ، وروى أن علياً بن أبى طالب كرم الله وجهه عدَّ ﴿ المّ ﴾ آية ، و﴿ كهيعص ﴾ آية . وكذا بقية الحروف فى أوائل السور .

فما عدَّه الكوفيون عن أهل المدينة ستة آلاف آية ومائتا آية وسبع عشرة آية (٦٢١٧) .

وعده المكيون ستة آلاف ومائتى وتسع عشرة آية (٦٢١٩) .

وعده البصريون ستة آلاف ومائتى وأربع آيات (٦٢٠٤) .

وأما عدد كلمه على قول عطاء بن يسار فسبعة وسبعون ألفا وأربعمائه وتسع وثلاثون كلمة (٧٧٤٣٩) وحروفه ثلاثة مائة ألف وثلاثة وعشرون ألفاً وخمسة عشر حرفا .

وقال ابن عباس : حروف القرآن ثلاثمائة ألف وثلاثة وعشرون ألف حرف وستمائة حرفٍ وأحد وسبعون حرفاً وهذا دليل على عناية المسلمين بكتاب ربهم من جميع جوانبه . انظر «منار الهدى فى بيان الوقف والابتدا» ص٢٢ ط الحلبى .

(١) رؤية الله تعالى معناها : انكشافه تعالى للرائين بأبصارهم انكشافاً تاماً من غير أن يكون تعالى فى جهة ومكان ومقابلا للرائى أو محدوداً أو محصوراً ، وبدون تكيف بأى كيفية من كيفيات رؤية الحوادث بعضهم بعضا . فقد جرت العادة فى رؤية الحوادث بعضهم بعضا أن الرؤية لاتحصل إلا بمصاحبة أمور :

١ ــ أن يكون المرئى فى جهة ومقابلا للرائى .

٢ ــ أن لايكون قريبا جداً ولا بعيداً جداً .

٣ ــ وأن لايكون بينه وبين الرائى ساتر يمنع من إتصال الشعاع الخارج من بصر الرائى به .

٤ ــ أن لايكون فى غاية اللطافة كالهواء .

وقد ذهب أهل السنة أنه يمكن أن توجد الرؤية بالبصر بدون هذه الأمور ، وأن هذه الأمور شروط عادية للرؤية يمكن تخلفها ، لأن الله قادر على أن يخلق فينا رؤية بعضنا بعضاً بدون هذه الأمور .

والمهم أن نعتقد أن رؤية الله بالأبصار ممكنة وجائزة عقلا ونقلا فى الآخرة ، وواقعة لعباد الله المؤمنين الصادقين يوم يقوم الناس لرب العالمين . وهذا هو مذهب أهل السنة والسلف الصالح خلافاً لمن قال بعكس ذلك وهم المعتزلة الذين ذهبوا إلى أن رؤية الله مستحيلة عقلاً وغير ممكنة فى الدنيا والآخرة .

وقد استدل أهل السنة على الجواز بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى أثبتها ابن قدامة فى متن كتابه الذى بين أيدينا وبغيرها من الأدلة . وتساءل الإمام أبو الحسن الأشعرى إمام أهل السنة قائلا : إن قال قائل : لم قلتم إن رؤية الله بالأبصار جائزة من باب القياس ؟. قيل له : قلنا ذلك لأن مالا يجوز أن يوصف =

قال تعالى : ﴿ وجُوهٌ يومئذٍ ناضِرَةٌ إلى ربِّها ناظِرَةٌ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ كلَّا إنَّهُم عن ربِّهم يومئذٍ لمحجوبُونَ ﴾ (٢)

فلما حجب أولئك فى حال السخط دلَّ على أن المؤمنين يرونه فى حال الرضا وإلا لم يكن بينهما فرق .

وقال النبى ﷺ : « **إنكم ترون ربَّكُم كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته** » (٣) وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية ، لا للمرئى بالمرئى ، فإن الله تعالى لا شبيه له ولا نظير .

= به البارى تعالى ويستحيل عليه ، فإنما لا يجوز لأن فى تجويزه إثبات حدثه أو إثبات حدث معنى فيه ، أو تشبيهه .. وليس فى جواز الرؤية إثبات حدث ، لأن المرئى لم يكن مرئيا لأنه محدث ، ولو كان مرئيا لحدوثه لكان الرائى محدثا للمرئى .

والدليل على أن الله يُرى بالأبصار قوله تعالى : ﴿وجوهٌ يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ . ولا يجوز أن يكون معنى قوله : ﴿ إلى ربِّها ناظِرةٌ ﴾ معتبرة كقوله تعالى : ﴿ **أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خُلِقت** ﴾ لأن الآخرة ليست بدار اعتبار ، ولا يجوز أن يعنى متعطفة راحمة كما قال : ﴿ **ولا ينظر إليهم** ﴾ .

فإن قال قائل : فما معنى قوله تعالى : ﴿ **لا تُدركُه الأبصارُ وهو يدرك الأبصار** ﴾ قيل له : فى الدنيا دون الأخرة ، لأن القرآن لا يتناقض ، فلما قال فى آية أخرى إنه ﴿ **لا تُدركه** ﴾ علمنا أن الوقت الذى قال إنه لا تدركه الأبصار فيه غير الوقت الذى أخبرنا أنها تنظر إليه فيه . أ.هـ . (اللمع لأبى الحسن الأشعرى ص٦١ ومابعدها) .

وفى موضوع الرؤية خلاف طويل بين أهل السنة والمعتزلة بيد أن الحق مع أهل السنة وما ذهبوا إليه من أن المؤمنين يرون ربهم فى الآخرة هو الحق ، وهو الذى يجب اعتقاده .

(١) القيامة آية : ٢٢

(٢) المطففين آية : ١٥

(٣) حديث صحيح . أخرجه مسلم فى الصحيح ١١٤/٢ ، وأبو داود فى سننه ٤٧٢٩ ، والترمذى ٩٠/٢ ، وابن ماجه حديث ١٧٧ ، وأحمد فى المسند ٣٦٥/٤ ، وابن أبى عاصم فى كتاب السنة حديث ٤٥١ ص١٩٦ .

فعـال لما يـريـد

ومن صفات الله – تعالى – أنه الفعال لما يريد[1] ، لا يكون شيء إلا بإرادته ، ولا يخرج شيء عن تقديره ، ولا يصدر إلا عن تدبيره ، ولا محيد عن القدَر المقدور ، ولا يتجاوز ماخط فى اللوح المسطور ، أراد ما العالم فاعِلُوه ، ولو عصمهم لما خالفوه ، ولو شاء أن يطيعوهُ جميعاً لأطاعوه ، خلق الخلق وأفعالهم ، وقدَّر أرزاقهم وآجالهم يهدى[2] من يشاء برحمته ، ويضل من يشاء

---

(١) صفة الإرادة إحدى الصفات الواجبة لله تعالى ، وهى صفة قديمة قائمة بذاته تعالى يرجع بها وقوع أحد طرفى الممكن دون الطرف الآخر . فالله سبحانه وتعالى فيما خلق ، وفيما يخلق ، وفيما دبر ويدبر به شئون العالم كان يصوغ الكائنات فى الأوضاع التى يريدها ، ومانراه فى السماء والأرض من تنوع فى الوجود ، وتميز فى السمات هو مظهر الإرادة الحرة فى كافة تعلقاتها . فلو أراد الله أن يخلق العالم الذى نعيش فيه على نحو آخر فى قوانينه وأنظمته لفعل ، وإذا اتجهت الإرادة إلى شيء فيستحيل أن يتخلف أثرها فإراده الله نافذة فى السماء والأرض ، لاراد لها ولا معقب عليها .

فالله يفعل مايريد متى يريد وكيف يريد ، وليس معنى ذلك أن أمور الخلق والرزق وشئون البسط والقبض ، وحظوظ الرفعة والخفض تصدر على طريقة الارتجال السريع أو الخواطر الساخة ، أو تتم اتفاقاً وتقع مصادفات عارضة . كلا . فإن الكون كله خاضع لشبكة دقيقة النسج من الأسباب والمسببات ، فالنبات لايتم نضجه بالإرادة والقدرة ، ولكن مظهر الإرادة والقدرة – فيما نعرفه – من غرس ، وسقى ، وتعهد ، وزمان ، ومكان . ومن العجب أن أصحاب العقول الضيقة يحسبون أن وصف الله عز وجل بأنه يفعل مايشاء ، معناه أن أحكامه فى عباده لاضابط لها ولارابط بينها . وهذا كلام باطل . لأن الأسباب والمسببات هى المفاتيح الملقاة بين أيدى البشر ليصلوا بإرادتها إلى ماوراءها من خير أو بشر ، فليس معنى أن الله يفعل مايشاء ويريد مايشاء ، أنه يثيب العاصى أويعذب الطائع . فليس لأحد أن يحتج بأن أفعاله وأعماله لاتنفعه زاعما أن الإيمان والكفر قضاء الله وقدره .

(٢) الهداية فى القرآن الكريم على قسمين :

١ ــ هداية إرشاد ودلالة

٢ ــ وهداية توفيق .

فقد بين الله لعباده طريق السعادة ، ودعاهم إليه ، وحذرهم من طريق الذلة والضلالة ونهاهم عنه فقال تعالى : ﴿ **وهديناه النجدين** ﴾ .

فمن استجاب لهداية الله التى هى الدلالة أدخل الله هداية التوفيق فى قلبه . =

بحكمته ﴿ لا يُسْأَلُ عمَّا يفعَلُ وَهم يُسْأَلونَ ﴾ (١)

قال الله تعالى : ﴿ إنَّا كُلَّ شَيءٍ خلقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ (٢)

وقال تعالى : ﴿ وخلق كل شيءٍ فقدَّرَهُ تقديراً ﴾ (٣)

وقال تعالى : ﴿ مَاأصابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فى الأرضِ ولا فى أنْفُسِكُم إلاَّ فى كتابٍ مِنْ قبل أن نبرأهَا ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ فمَنْ يُردِ اللهُ أنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ للإسْلَامِ ومن يُرِدْ أنْ يُضِلهُ يَجعل صَدْرَهُ ضيقاً حَرجاً ﴾(٥) .

وروى ابن عمر(٦) أن جبريلَ عليْه السلام قال للنبى ﷺ : ما الإيمان ؟ .

قال : « أن تؤمِنَ باللهِ وملائكته وكتبه ورسلهِ واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره » .

فقال جبريل : صدقْتَ(٧) .

وقال النبى ﷺ : « آمنتُ بالقدر خيره وشره وحُلْوِه، ومُرِّه » .(٨)

ومن دعاء النبى ﷺ الذى علمه الحسن بن على(٩) يدعو به فى قنوت الفجر « وقنى شرَّ ماقضيت » .

= قال تعالى : ﴿ وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ﴾ فبين أنه هداهم إلى طريق الحق ولكنهم استمروا فى ضلالهم ، وابتعدوا عن طريق الصواب .

ومثلها قوله تعالى : ﴿ ومن يؤمن باللهِ يهد قلبه ﴾ أى أن من عرف الله وسار إليه أدخل الله الهداية فى قلبه .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمَنوا آمِنوا ﴾ .

وهذا هو الفهم الحقيقى الذى يجب أن يفهمه المسلمون من كتاب ربهم وسنة نبيهم .

(١) سورة الأنبياء آية : ٢٣ .

(٢) يعنى بحسب ماقدرناه قبل أن نخلقه ، فجرى الخلق على علمه وكتابه والآية من سورة القمر آية ٣٩ .

(٣) سورة الفرقان : ٢ (٤) سورة الحديد : ٢٢ . (٥) سورة الأنعام : ١٢٥ .

(٦) هو الصحابى الجليل عبد الله بن عمر بن الخطاب أسلم صغيراً ، كان علماً من أعلام الصحابة .

(٧) أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان ٤٠/١ ، والبخارى من وجه آخر فى كتاب الإيمان ١٨/١ ، وفى التفسير ٢٠/٦ ، والبيهقى فى شعب الإيمان ٤٨٤/١ حديث ١٧٦ . وهو حديث طويل .

(٨) جزء من حديث إسناده صحيح أورده السيوطى فى الجامع الكبير المعروف بجمع الجوامع .

(٩) هو الحسن بن على بن أبى طالب ابن بنت رسول الله ﷺ . كان جده المصطفى يلاعبه ويداعبه وهو =

الاحتجاج بالقضاء والقدر

ولا نجعل قضاء الله وقدره حجة لنا فى ترك أوامره ، واجتناب نواهيه ، بل يجب أن نؤمن ونعلم أن لله الحجة علينا بإنزال الكتب وبعثه الرسل .[1]

قال الله تعالى : ﴿ لئلا يكونَ للناسِ على الله حجة بعد الرسل ﴾[2] .

ونعلم أن الله ماأمر ونهى إلا المستطيع للفعل والترك ، وأنه لم يجبر أحداً على معصية ، ولا اضطره إلى ترك طاعة . قال الله تعالى : ﴿ لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً

= صغير وبين أن الله يصلح بين فئتين عظيمتين من أمة الإسلام، والحديث صحيح . أخرجه ابن ماجه فى كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب ماجاء فى القنوت فى الوتر ٣٧٢/١، والنسائى فى الدعاء فى الوتر ٣٤٨/٣، والترمذى فى كتاب الصلاة باب ماجاء فى القنوت فى الوتر حديث ٢٦٤ وقال : هذا حديث حسن .

ولفظ الحديث كاملاً عن الحسن بن على قال: علمنى جدّى رسول الله ﷺ كلمات أقولهن فى الوتر : « اللهم اهدنى فيمن هديت، وعافنى فيمن عافيت، وتولنى فيمن توليت، وبارك لى فيما أعطيت، وقنى واصرف عنى شر ماقضيت، فإنك تقضى ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، تباركت ربنا وتعاليت » .

(١) لأن القضاء والقدر لاينافى الأخذ بالأسباب ، ولايستلزم الرضا بالمعاصى ، لأن المعصية لها جهتان أولاهما : كون العبد كسبها باختيار .

وثانيهما : جهة كونها مخلوقة لله وهو مايجب الرضا به .

ثم إنه لايجوز الاحتجاج بالقضاء والقدر بعد الوقوع فى المعصية لدفع المؤاخذة ، أو التخلص من حد المعصية ، ولاقبل وقوع المعصية توصلا إليها كأن يذهب المرء إلى بيوت الدعارة بنية الزنا وهو مستعد لارتكاب الفاحشة ومقتنع بأن هذا مقدر عليه ، فهذا الاحتجاج مردود .

فقد عوقب من تعلل بالقدر فى عصر الصحابة . ذلك أنه أتى بسارق إلى عمر بن الخطاب . فقال له : لم سرقت ؟

فقال : قضى الله علىَّ .

فأمر به فقطعت يده ، وضرب أسواطاً على جسده .

فقيل لعمر فى ذلك . أى فى الضرب بعد القطع .

فقال : القطع للسرقة ، والجلد للكذب على الله تعالى .

وقيل لعبد الله بن عمر : إن أقواماً يزنون ، ويشربون الخمر ، ويسرقون ، ويقتلون ، ويقولون : كان فى علم الله فلم تجد بداً منه .

فغضب رضوان الله عليه وقال : سبحان الله العظيم قد كان فى علم الله أنهم يفعلون ويحملهم علم الله على فعلها ولكنهم كاذبون .

(٢) النساء : ١٦٥ .

إلاَّ وُسْعَهَا ﴾[1] .

وقال الله تعالى : ﴿ **فاتقوا اللهَ ما استطعتُم** ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ **اليومَ تُجْزَى كُلُّ نفسٍ بما كسَبتْ لا ظُلْمَ اليومَ** ﴾[3] .

فدل على أن للعبد فعلا وكسبا يجزى على حسنه بالثواب ، وعلى سيئه بالعقاب ، وهو واقع بقضاء الله وقدره .

زيادة الإيمان ونقصانه

والإيمان[4] قول باللسان ، وعمل بالأركان ، وعقد بالجنان ، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان .

قال الله تعالى : ﴿ **ومَا أُمِرُوا إلاَّ ليعبدوا اللهَ مُخْلِصِينَ له الدينَ حُنَفَاء ويُقيمُوا الصَّلَاةَ ويُؤْتُوا الزَّكاة وذلِكَ دينُ القيِّمةِ** ﴾[5] .

فجعل عبادة الله تعالى ، وإخلاص القلب ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة كله من الدين .

وقال رسول الله ﷺ : « **الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن**

---

(١) سورة : ٢٨٦ . (٢) سورة التغابن : ١٦ . (٣) سورة غافر : ١٧ .

(٤) الإيمان فى اللغة معناه التصديق تقول : آمنت بالله أى صدقت به واتبعت تعاليمه . وقد أجمع علماء الأمة ممن يعتد بهم أنه يزيد وينقص ، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصى . ذلك أن آيات القرآن ، وأحاديث المصطفى ﷺ ، وأقوال سلف الأمة يدل على ذلك . قال تعالى : ﴿ **وإذا تليت عليهم آياتهُ زادتهم إيمانا** ﴾ . وقال سبحانه : ﴿ **وإذا ما أُنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادتْهُ هذه إيماناً فأما الذينَ آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون** ﴾ . وقال رسول الله ﷺ : « **أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلقاً** » . (إسناده حسن) . وقال ﷺ : « **من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه . فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان** » (أخرجه مسلم) . وكان عمر بن الخطاب ربما أخذ بيد الرجل والرجلين فيقول : « **تعالوا نزداد إيماناً** » . وعن أبى الدرداء قال : « الإيمان يزداد وينقص » وعن هشام بن عروة قال : « ما نقصت أمانة عبد قط إلا نقص من إيمانه » هذا وقد وردت آلاف الأقوال التى تؤيد زيادة الإيمان ونقصانه على لسان صحابة رسول الله ﷺ .

قال الإمام البخارى : أدركنا سبعين من كبار أصحابنا كلهم يقول الإيمان يزيد وينقص .

وهكذا ورد عن كبار التابعين وأتباعهم . ولم يشذ عن هذا القول إلا المعتزلة وبعض الفرق الأخرى ، والخلاصة أن مذهب أهل السنة والجماعة زيادة الإيمان ونقصانه لدلالة آيات الكتاب والسنة وأقوال السلف على ذلك .

(٥) سورة البينة : ٥ .

لا إله إلا الله . وأدناها إماطة الأذى عن الطريق »[1] .

فجعل القول والعمل من الإيمان .

وقال تعالى : ﴿ **فزادهم إيماناً** ﴾[2] ﴿ **ليزدادوا إيماناً** ﴾[3] .

وقال رسول الله ﷺ « **يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه مثقال بُرَّة أو خردلة أو ذرَّة من الإيمان** »[4] . فجعله متفاضلا .

آمن بما جاء عن رسولك

ويجب الإيمان بكل ما أخبر به النبى ﷺ ، وصح به النقل[5] عنه فيما شهدناه أو غاب عنا نعلم أنه حقٌ وصدقٌ ، وسواء فى ذلك ماعقلناه وجهلناه ، ولم نطَّلع على حقيقة معناه ، مثل حديث الإسراء والمعراج[6] ، وكان يقظة لا مناماً ، فإن قريشاً أنكرته وأكبرته ، ولم تنكر المنامات .

---

(١) حديث صحيح . أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها ، وفضيلة الحياء وأنه شعبة من الايمان ١/٦٣ حديث ٥٨ .

ومعنى البضع . أنه عدد مبهم مقيد بما بين الثلاث إلى التسع ، ويكون مع المذكر بهاء « بضعة » ومع المؤنث بغير هاء « بضع » ومنه قوله تعالى ﴿ **غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين** ﴾ أما الشعبة فهى الطائفة من الشىء والقطعة منه ، والمراد الخصلة . ونحن نلاحظ أن الخبر أتى بإبهام هذه الشعب ، وفى الفتح عن القاضى عياض : تكلف جماعة عن حصر هذا الشعب بطريق الاجتهاد . ويصعب الحكم بكون ذلك هو المراد ، ولا يقدح عدم معرفة ذلك على التفصيل فى الإيمان .

(٢) سورة آل عمران : ١٨٣ .

(٣) سورة الفتح : ٤ .

(٤) حديث صحيح . خُرج بألفاظ متقاربة من عدة طرق ، فقد أخرجه البخارى فى الصحيح . ومسلم كذلك

(٥) اجل . فإنه يجب أن تؤمن وتعتقد فى كل ماجاء عن رسول الله من طريق النقل الصحيح ، وذلك إما عن طريق التواتر أو ماجاء عن طريق الأحاديث الصحيحة والتى يعرفها العلماء بقولهم : ماإتصل سنده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط ضبطاً تاماً من أول السند إلى منتهاه من غير شذوذ ولا علة قادحة

(٦) يجب الإعتقاد بأن الله قد أسرى بنبيه وعبده ورسوله محمدٍ ﷺ ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى بروحه وجسده حال يقظته ثم عرج به وطاف فى السماوات سماء سماء ، ورأى أرواح الأنبياء عليهم السلام هنالك لما ثبت فى القرآن وكتب الصحاح والسنن . قال تعالى : ﴿ **سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى** ﴾ ، ولو كان ذلك رؤيا منام ماكذبه فى ذلك أحد ، كما لانكذب نحن كافراً فى رؤيا يذكرها ولقد تخبطت بعض الآراء فى الإسراء والمعراج ، فتأوله بعضهم =

ومن ذلك أن ملك الموت لما جاء إلى موسى – عليه السلام – ليقبض روحه لطَمَهُ ، ففقأ عينه ، فرجع إلى ربه ، فردَّ عليه عينيه[٣] .

= بقوله : « **هذا الروح القوى قد اجتمعت فيه فى ساعة الإسراء والمعراج وحدة هذا الوجود بالغة غاية فى جمالها . لم يقف أمام ذهن محمد وروحه حجاب من الزمان أو المكان أو غيرها من الحجب** » .
ومعنى هذا أنه انكشفت له الأشياء ﷺ وهو فى مكة من غير أن يتحرك ، وهذا مخالف لظاهر القرآن فى قوله ﴿ أسرى ﴾ فلابد أن تكون فى الإسراء نقلة . وادعى البعض أن قصة الإسراء والمعراج إن هى إلا رموز فتأولوها من غير سند ولاتحقيق ، وأنكرتها طائفة أخرى . والواقع : أنه لايمكن لأحد أن يتقبل مالم تجر به العادة إلا إذا علم مااختص الله به بعض عباده ، فكل مايخبر به الأنبياء صدق ، وماتأمر به عدل ، وليس للأنبياء فعل فيما يخبرون به ، إذ أن كل مايأتون به دلالة على قدرة الله سبحانه .

(٣) يشير بهذا إلى ماجاء فى الحديث الصحيح الذى أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق باب وفاة موسى عليه السلام ، ومسلم فى صحيحه باب من فضائل موسى عليه السلام ، ونصه : عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « **جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام – فقال له : أجِبْ ربك قال : فلطم موسى عليه السلام عينَ ملك الموتِ ففقأها ، قال : فرجع الملَكُ إلى الله تعالى فقال : إنك أرسلتنى إلى عبد لا يريد الموت ، وقد فقأ عينى ، قال : فردَّ الله إليه عينه ، وقال : ارجع إلى عبدى فقل : الحياة تُريدُ ؟ فإن كنت تريدُ الحياة فضعْ يدك على متن الثور ، فما توارت يدُك من شعرة ، فإنك تعيش بها سنة . قال : ثُمَّ مَهْ؟ . قال : ثم تموتُ . قال : فالآن من قريبٌ ، ربِّ أمتنى من الارض المقدسة رمْيه بحَجَر . قال رسول الله ﷺ : والله لو أنى عنده لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر** » .

ومعنى الحديث : أن ملك الموت جاء لموسى وقال له : أجب ربَّك أى للموت ، فظنَّهُ موسى آدميا فلطمه لطمة أدت إلى فقأ عينه التى رُكبت من الصورة البشرية والتى جاءه فيها ، وقيل : يحتمل هذا الأمر ثلاثة أوجه . أحدها : أنه لايمتنع أن يكون موسى – عليه السلام – قد أذن لهُ فى تلك اللطمة ، ويكون ذلك امتحاناً للملطوم ، وأن الله تعالى يفعل فى خلقه مايشاء ، ويمتحنهم بما أراد .

الثانى : أن ذلك على سبيل المجاز ، والمراد أن موسى ناظره فغلبه بالحجة . ويقال : فقأ فلانٌ عين فلانٍ إذا غالبه بالحجة فغلبه . ولكن فى هذا الرأى ضعف لقوله ﷺ : « **فردَّ الله إليه عينه** » .

الثالث : أن موسى عليه السلام لم يعلم أنه ملك من عند الله ، وظن أنه رجل يريد نفسه فدافعه عنها فأدت المدافعة إلى فقء عينه لا أنه قصدها بالفقء . وهذا هو ماقرره الإمام ابن خزيمة وغيره من المتأخرين واختاره المازرى والقاضى عياض ، وقالوا : ليس فى الحديث تصريح بأنه تعمد فقء عينه . فإن قيل : قد اعترف موسى حين جاءه ثانية بأنه ملك الموت ، فالجواب أنه أتاهُ فى المرة الثانية بعلامة أنه ملك الموت فاستسلم بخلاف المرة الأولى .

هذا ، وقد أنكر بعض الملاحدة فى القديم والحديث – هذا الحديثُ ، وأنكر تصوره ، وقالوا : كيف يجوز على موسى فقء عين ملك الموت . ومن هؤلاء فى عصرنا المسمى بمحمود أبى رية فى كتابه الخبيث « أضواء على السنة المحمدية » والذى تعمد فيه إنكار الأحاديث الصحيحه ، وسب الصحابة وبخاصة الصحابى الجليل أبو هريرة راوى هذا الحديث الذى معنا ، والذى أنكره أبو رية بسبب جهله وسوء فهمه . وللأسف مازالت « دار المعارف » تعاود طبع هذا الكتاب .

ومن ذلك أشراط الساعة مثل خروج الدجال [1] ، ونزول عيسى بن مريم [2] عليه السلام . فيقتله . وخروج **يأجوج** ومأجوج [3] ، وخروج

---

(١) جاء ذكر الدجال فى الكثير من نصوص السنة الصحيحة المصرحة بأن خروجه من علامات القيامة المؤذنة بقربها . والدجال ـ بفتح الدال وتشديد الجيم من الدجل ، وهو التغطية ، وقد سُمِّىَ الدجال بذلك لأنه يغطى الحق بباطله ، واعلم أن الذى عليه أهل السنة والجماعة أن خروج الدجال حق ثابت ، ووجوده فى آخر الزمان صحيح حاصل ، وأنه من علامات الساعة ، مستندين فى كل ذلك بما جاء فى صريح السنة وصحيحها ومن ذلك مارواه مسلم والبخارى فى صحيحيهما عن ابن عمر قال : ذكِرَ الدجال عند النبى ﷺ فقال : « **إن الله لا يخفى عليكم ، إن الله ليس بأعور** » وأشار بيده إلى عينه – وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى ، كأن عينيه عنبة طافية » (والطافية) هى التى ذهب ضوؤها .

وعند مسلم من حديث أنس بن مالك قال رسول الله ﷺ : « **الدجال مكتوب بين عينيه – ك ف ر – أى كافر يقرأه كل مسلم** » . كما أنه صح عنه ﷺ الإكثار من التعوذ من فتنة المسيح الدجال . وسوف يقتل الدجال بيَدِ عيسى بن مريم عليه السلام .

(٢) اعلم أن نزول عيسى – عليه السلام – فى آخر الزمان آية كبرى من آيات القيامة ، وعقيدة ثابتة بالكتاب والسنة . وقد تسأل : ما الحكمة فى نزول عيسى دون غيره من الأنبياء ؟. والجواب : أن الحكمة فى ذلك الرد على اليهود – فى زعمهم – أنهم قتلوه ، فيبين الله كذبهم ، وأنه هو الذى يقتلهم أول نزوله . وقيل : إنه دعا الله – لما رأى من صفة محمد وأمته – أن يجعله منهم ، فاستجاب الله دعاءه ، وأبقاه ، حتى ينزل فى آخر الزمان مجدداً لأمر الإسلام ، فيوافق نزوله خروج الدجال فيقتله ، وهذا هو رأى الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى عليه .

أما دلائل نزوله : فمن القرآن قوله تعالى فى شأنه : ﴿ **وإنه لِعلْمٌ للساعةِ فلا تمترن بها** ﴾ وذلك عقب الحديث عنه فى قوله : ﴿ **ولما ضُرِبَ ابن مريمَ مثلاً إذا قومك مِنْهُ يصدون** ﴾ .

ومن السنة : فقد وردت أحاديث كثيرة صحيحة ، وإن كانت أحاديث أحاد إلا أنها تفيد التواتر ، ومن ذلك ماأخرجه البخارى وغيره عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : « **والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويفيض المال ، حتى لايقبله أحد ، حتى تكون السجدة خيراً من الدنيا ومافيها** » ثم قال أبو هريرة : واقرءوا إن شئتم ﴿ **وإن مِنْ أَهْلِ الكتاب إلا ليؤمنن به قبل مَوْتِهِ ويوْمَ القيامةِ يكونُ عليهم شهيداً** ﴾ .. وعند مسلم من طريق جابر بن عبد الله قال : سمعتُ النبى ﷺ يقول : ﴿ **لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة ، فينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم : تعال صل لنا ، فيقول : لا ، إن بعضكم لبعض أمراء** ».. ومن ثَمَّ وجب اعتقاد نزول عيسى فى آخر الزمان للأحاديث الصحيحة الكثيرة البالغة حد الشهرة فى إثبات نزوله .

(٣) يأجوج ومأجوج قوم جعل الله خروجهم آخر الزمان آية شاهدة على اقتراب الوعد الحق ودُنو القيامة ، وهم أمة مفسدة فاسدة تروع الناس ، وتنشر فى الأرض الفزع والخراب . قال تعالى : ﴿ **إن** =

الدابة [1] ، وطلوع الشمس من مغربها [2] ، وأشباه ذلك مما صح به النقل .
وعذاب القبر ونعيمه حق [3] ، وقد استعاذ النبى ﷺ منه وأمر به فى كل

= يأجوج ومأجوج مُفسدونَ فى الأرض ﴾ . وقد دلَّ الكتاب الكريم والسنة المطهرة الصحيحة على خروجهما أما الكتاب فقد قال تعالى : ﴿ **حتى إذا فُتِحَتْ يأجُوجُ ومأجوجُ وهم من كُلِّ حَدَب ينسلُونَ واقترب الوعْدُ الحق** ﴾ . وقيل فى تفسير هذه الآية : أى حتى إذا فتح سد يأجوج ومأجوج يخرجون من كل طريق للفساد فى الأرض ، وإذا حدث هذا فقد اقترب وقت القيامة ، ذلك أن خروجهم علامة من علامات دنوها واقترابها . وأما ماجاء من أحاديث فى السنة المطهرة فكثير ، ومن ذلك ماروته زينب بنت جحش زوج النبى ﷺ ، من أنه استيقظ ذات يوم من نومه وهو يقول : « **لاإله إلا الله . ويل للعرب من شر قد اقترب . فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه** » وعقد راوى الحديث بيده عشرة . قلتُ : يارسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال « **نعم إذا كثر الخبث** » أخرجه مسلم فى الصحيح .

والحق أن خروج الدجال ويأجوج ومأجوج عقيدة سمعية ، دلَّ عليها الكتاب والسنة ، وأجمع على ذلك سلف الأمة ، واتفق على حقيقتها أهل السنة والجماعة ، فوجب التصديق بذلك .

(١) لقد أفصحت نصوص القرآن والسنة عن خروج الدابة لتكون علامة من علامات القيامة . فقد قال تعالى متحدثاً عن هذه الآية : ﴿ **وإذا وقعَ القولُ عليهم أخرجْنا لهم دابة من الأرْضِ تكلمُهم أن الناسَ كانوا بآياتنا لايؤمنون** ﴾ وقد فسر العلامة البيضاوى هذه الآية بقوله : « **إذا دنا ماوعد الناس به من البعث والعذاب أخرج الله دابة من الأرض تكلم الناس وتحذرهم وتقول إن الناس كانوا بآياتنا لايوقنون** » . كما روى مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **ثلاث إذا خرجن لاينفعُ نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً : طلوع الشمس من مغربها ، والدجال ، ودابة الأرض** » وغير ذلك من الأحاديث كثير ، وعلى هذا لزم الاعتقاد بهذه الآية

(٢) طلوع الشمس من مغربها علامة كبرى من علامات القيامة المؤذنة بخصوصها ووقوعها ، وهو أمر عظيم خطير ، لأن فيه خرقاً لناموس الكون ، وبه يتغير حال العالم العلوى . وقد دلت السنة الصحيحة على وقوع هذا الأمر . فقد أخرج البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « **لاتقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها . فإذا رآها الناس آمن من عليها ، فذلك حين لاينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل** » . وأخرج مسلم هذا الحديث بلفظ « **لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت من مغربها ، امن الناس كلهم أجمعون . فيومئذ لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً** » . والمعنى أن باب التوبة سيغلق على المؤمن العاصى ، والكافر ، من حين طلوع الشمس من مغربها إلى يوم القيامة . فلا تُقبل توبة العاصى ولاإيمان الكافر مصداقاً للأحاديث المتقدمة .

(٣) بالنسبة لعذاب القبر ونعيمه فقد أجمع المسلمون إلا بعضاً من المعتزلة على أن كلا من نعيمه وعذابه حق ، فيجب الإيمان بهما ، وإنكارهما بدعة . والدليل على ذلك - أى وقوع العذاب أو النعيم فى القبر - كتاب الله وسنة رسوله ﷺ . أما الكتاب فقوله تعالى فى آل فرعون : ﴿ **النارُ يُعْرضُون عليها غدواً وعشيا ويوْم تقومُ الساعةُ أدْخلوا آل فرْعَوْن أشد العذاب** ﴾ وظاهر أن إدخالهم النار غير عرضهم عليها =

صلاة ، وفتنة القبر حق ، وسؤال منكر ونكير حق[1] ، والبعث بعد الموت حق[2] ، وذلك حين ينفخ إسرافيل عليه السلام فى الصور ﴿ فإذا هُم مِنَ الأجْدَاثِ إلى رَبِّهِم ينسلون ﴾[3]

= بدليل العطف . وقوله تعالى فى قوم نوح : ﴿ **أُغْرِقوا فأدخلوا ناراً** ﴾ وهذا دليل على عذابهم فى قبورهم . وقد جاء فى السنة مايدل على ذلك ففى الحديث الصحيح أن النبى ﷺ مرَّ بقبرين فقال : « **إنهما يعذبان وما يعذبان فى كبير ثم قال : بلى أما أحدهما فكان يمشى بالنميمة وأما الآخر فكان لايستتر من بوله** » ، وكان ﷺ يستعيذ من عذاب القبر عقب كل صلاة ويقول : « **اللهمَّ إنى أعوذ بك من عذاب القبر ومن عذاب جهنم ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال** » وكذلك وردت الأثار فى فتنة القبر فى كتب السنة المعتبرة .

(١) اعلم أن سؤال الملكين للميت عن ربه ودينه ونبيه أمر ممكن عقلا ، وقد ورد به الكتاب والسنة ، فعلى ذلك يجب الإيمان به . قال تعالى : ﴿ **يثبتُ اللهُ الذينَ آمنوا بالقوْل الثابتِ فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويُضل اللهُ الظالمينَ** ﴾ قال عكرمة فى تفسيرها : هى الشهادة يُسْألونَ عنها فى قبورهم بعد موتهم وقال عكرمة : يُسْألونَ عن الإيمان بمحمد ﷺ وأمر التوحيد فيجيب بما يوافق مامات عليه من إيمان أو كفر أو شك . ودليل سؤال الملكيْن من السنة قول النبى وفعله ، فقد روى عثمان بن عفان قال : كان النبى ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال : « **استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يُسْأل** » وليكن معلوماً أن السؤال لكل ميت ، قُبر أم لم يُقبر بأن أكلته السباع أو أحرقته النار أو ذرته الرياح ، وأن السؤال للبدن والروح معاً ، ولعل الحكمة فى سؤال القبر إظهار ماكتمه العباد فى الدنيا من إيمان وكفر ، فالمؤمنون يباهى الله بهم الملائكة ، وغيرهم يفضحون أمام الملائكة .

(٢) أجمع المسلمون على أن البعث بعد الموت حق لامرية فيه ، والبعث هو : إحياء الموتى وإخراجهم من القبور بعد إعادة الأجسام ، وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على وقوعه ، فيجب الإيمان بذلك والمنكِر كافر لأنه أنكر شيئا معلوماً من الدين بالضرورة . قال تعالى مبيناً ذلك الأمر : ﴿ **زعم الذين كفروا أنْ لنْ يُبْعَثُوا قُلْ بلىَ وربِّى لتبعثن ثُمَّ لتنبؤن بما عملتم** ﴾ وقال سبحانه : ﴿ **وأن اللهَ يَبْعثُ مَنْ فى القبورْ** ﴾ . وقد جاء فى السنة المطهرة مايدل على وقوع البعث ، ومن ذلك ماروى أن أُبى بن خلف خاصم النبى ﷺ ، وأتاه بعظم قد رمَّ وبلىَ ، وفتته بيده وقال : يامحمد أترىَ اللهُ يحى هذا بعدما رمَّ فقال عليه الصلاة والسلام : « **نعم ويبعثك ويدخلك النار** » والأحاديث فى هذا الباب وفيرة متعددة . وعلى هذا إجماع علماء الأمة سلفاً وخلفاً .

(٣) سورة يس : ٥١ .

الحشـر حق وصدق

ويُحْشَر الناس يوم القيامة حفاة عراة غُرْلاً بُهْماً ، فيقفون فى موقف القيامة حتى يشفع(٢) فيهم نبيُّنا محمد ﷺ ، ويحاسبهم الله تبارك وتعالى ، وتنصب الموازين وتنشر الدواوين ، وتتطاير صحائف الأعمال إلى الأيْمَانِ والشمائل(٣).

---

(١) الحشر معناه : جمعُ الله الخلائق ، بعد بعثهم أحياءً فى ساحة واحدة تُدعى « عرصات القيامة ، أو الموقف ، أو أرض المحشر » وذلك للحساب والجزاء ، والحشر هو الحال الثانى من أحوال الآخرة وقد تعاضدت أدلة الكتاب والسنة وإجماع السلف على ثبوت الحشر ووقوعه ووجوب اعتقاده أما دليله من القرآن ، فالآيات المصرحة به كثيرة وصريحة ومحكمة . منها قوله تعالى : ﴿ **واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تُحْشرون** ﴾ . وقوله سبحانه : ﴿ **يَوْمَ ينفخُ فى الصُّورِ ونحْشر المجْرمين يومئذ زرقاً** ﴾ وقوله : ﴿ **فوربّك لنحْشُرنّهُم والشياطينَ ثمَّ لنحضرنّهُم حَوْل جهنم جثيا** ﴾ وأما دليله من السنة فقد روت السيدة عائشة رضى الله عنه قالت : قال رسول الله ﷺ : « **يحشر الناس يوم القيامة حفاة عُراة غُرْلاً** ، **قلتُ يارسول الله : النساء والرجال جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض ؟ قال : « ياعائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض** » (متفق عليه) .

واعلم أن الحشر يكون فى أرض طيبة مبدئة لم يُعْص الله عليها ، فقد قال ﷺ : « **يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرص النقى (أى الخبز الأبيض السالم من الغش) ليس فيها معْلم لأحد** » (متفق عليه) . والحشر يكون للأجسام والأرواح ومنكر حشر كافر إجماعاً ، وقد كفّر الإمام الغزالى فلاسفة الإسلام – كابن سينا – لما قالوا بالحشر للأرواح فقط . ومن ثم فإنكار الحشر للأجسام كفرٌ صريح .

(٢) معنى قوله « غرلاً : قلفا ، فالأغرل هو الأقلف ، ومنه : ركب خيل على إغرلته : أى فى صغره ، ولم يختن بعد ، انظر غريب الحديث للإمام ابن الجوزى ٢/٤٥ مادة « غرل » .

(٣) من أحوال القيامة وضع الكتب ونشر الصحف وتطايرها كما ورد بذلك الكتاب والسنة ، وانعقد عليه الإجماع . والصحائف : هى صحائف الأعمال التى كتبت فيها الملائكة مافعله العباد فى الدار الدنيا من خير أو شر . ومعنى نشر الدواوين أى جعل صحائف الأعمال فى الأيمان أو الشمائل لقراءتها ، ومعرفة الحسنات والسيئات تمهيداً للسؤال والحساب ، وإمعانا فى إقامة الحجة على العباد ، وتحقق العدالة الإلهية . قال تعالى : ﴿ **وَوُضِعَ الكتابُ فترى المجرمينَ مشفقينَ مِمَّا فيه ويقولونَ يا ويْلتنا مالهذا الكتاب لايغادِرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلَّا أحْصاها ووجدوا ماعملوا حاضراً ولايظلمُ ربّك أحداً** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **وإذا الصحف نشرت** ﴾ قيل: يعنى صحائف الأعمال ، فإنها تُطوى عند الموت ، وتنشر وقت الحساب . وقيل : نشرت أى فرقت بين أصحابها . ودلت السنة على ذلك بأحاديث معتبرة توضح أن كل مكلف له صحيفة يوم القيامة ، وأن كل واحد ممن يأخذ الكتب والصحف يقرأ كتابه بنفسه ولو كان أمياً

﴿ فأمَّا مَنْ أوتىَ كتابه بيمينه فسَوْف يحاسَبُ حِسَاباً يسيراً وينقلبُ إلى أهله مَسْرُوراً . وأمَّا مَنْ أُوتىَ كتابه وراءَ ظهره فَسَوْفَ يدعُوا ثُبُوراً ويصلى سعِيراً ﴾ [1] .

= لقوله تعالى : ﴿ وكلَّ إنسانٍ الزمناهُ طائره فى عُنقِهِ ونخرج له يَوْمَ القيامة كتاباً يلقاهُ منشوراً اقرأ كتابك كفى بنفسك اليومَ عليك حسيباً ﴾ وعلى هذا فإنه يجب الاعتقاد فى هذا الأمر للدلالة عليه من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

(١) سورة الانشقاق ٧ : ١٣ .

obeikandl.com

الميزان من أمور الآخرة

والميزان له كفَّتان ولسان[1]، يوزن به أعمال العباد ﴿ **فَمَن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون . ومن خفَّت موازينه فأولئك الذينَ خسِروا أنفُسَهم فى جَهَنَّم خالدون** ﴾[2] .

ولنبينا محمد ﷺ حوض[3] فى القيامة ماؤه أشد بياضا من اللبن ، وأحلى

---

(١) الميزان من الأمور السمعية التى يجب الإيمان بها ، لدلالة نصوص الكتاب والسنة على وجوده ، وإذا كان أمر الميزان والوزن فى الدنيا ، وبين الناس فى تعاملهم يُنظر على أنه وسيلة وآلة فى تحرى العدالة ، ورفع التظالم بين المتعاملين ، فلا يتأتى الجور والغبن فى الحقوق والمقادير . فإن أمره فى الآخرة أجل وأخطر ذلك أن الميزان الأخروى من صنعة الإله العدل الذى لايظلم مثقال ذرة ، وكأن الخالق الأعظم فى وضعه الميزان ، يتجلى فى أسمى مراتب العدالة المطلقة طمأنينةلقلوب المؤمنين العاملين ، وحضاً لهم على الاستكثار من الأعمال الصالحة ، واستثارة لهمم المفرطين العاصين . وعلى هذا فالميزان ممكن عقلاً ثابت بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين . أما ثبوته بالكتاب الكريم فقد جاء التصريح به فى عديد من الآيات منها قوله تعالى : ﴿ **وَنضعُ الموازينَ القِسْطَ ليَوم القيامَةِ فلا تُظْلَمُ نفسٌ شيئاً وإنْ كانَ مثقال حبَّة مِن خرْدَل أتَيْنا بها وكفى بنا حاسبين** ﴾ ومنها الآية التى معنا فى متن الكتاب ، وغيرهما . وأما السنة فقد جاء عن سلمان ، عن النبى ﷺ قال : « **يوضع الميزان يوم القيامة فلو وزن فيه السموات والأرض لوسعت ، فتقول الملائكة : يارب لمن يزن هذا ؟ فيقول الله تعالى : لمن شئت من خلقى . فيقولون : سبحانك ماعبدناك حق عبادتك** » (أخرجه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم) ، وقد قرر صاحب حاشية الأمير أن أحاديث الميزان بلغت حدَّ التواتر . وقد اختلف العلماء فى صفة الميزان فقال التفتازانى صاحب المقاصد : « ذهب كثير من المفسرين إلى أنه ميزان له كفتان ولسان وساقان عملاً بالحقيقة لإمكانها وقد ورد فى الحديث تفسيره بذلك » ، ويُنسبُ الإمام الأشعرى هذا القول إلى أهل الحق فى كتابه مقالات الإسلاميين ١٦٤/٢ فيقول : « قال أهل الحق : له لسان وكفتان توزن فى إحدى كفتيه الحسنات وفى الأخرى السيئات فمن رجحت حسناته دخل الجنة ومن رجحت سيئاته دخل النار ومن تساوت حسناته وسيئاته تفضل الله عليه فأدخله الجنة » . هذا ولقد أنكر بعض المعتزلة هذه الصفة بالنسبة للميزان ، والذى أميل إليه هو أنه يجب الاعتقاد بوجود الوزن والميزان ، وماعدا ذلك فأمور خلافية لاتمس العقيدة من قريب أو بعيد ، وإن كان الأجمل متابعة أكثرية الأمة فيما اتفقوا عليه من أن له كفتان ولسان وما إلى ذلك .

(٢) الأعراف : ٨ ، ٩ .

(٣) حوض النبى ﷺ الذى يعطاه يوم القيامة من الأمور السمعية التى أجمع عليها الجمهور ، ووردت بها الأحاديث التى بلغ مجموعها حدَّ التواتر ، وهو « جسم متسع الجوانب ماؤه أبيض من اللبن ، وريحه أطيب من المسك ، وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه فلا يظمأ أبداً » وعلى هذا فإنه يجب الإيمان به ومنكره مبتدع وقد ورد تحديد الحوض جهات مختلفة فعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله = :

من العسل ، وأباريقه عدد نجوم السماء ، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً .

والصراط[1] حق تجوزه الأبرار ، ويزل عنه الفجار ، ويشفع نبيّنا ﷺ فيمن دخل النار من أمته من أهل الكبائر ، فيخرجون بشفاعته[2] ، بعدما أحترقوا وصاروا فحماً وحمماً ، فيدخلون الجنة بشفاعته ، ولسائر الأنبياء والملائكة

= ﷺ قال : « **حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء** » قال العلماء: معناه طوله كعرضه كما قال فى حديث أبى ذر عند مسلم عرضه مثل طوله » وعن أنس أنه ﷺ قال : « **ما بين حوضي كما بين صنعاء والمدينة** » (متفق عليه) . وهذا التحديد كله باب من المبالغة معروف فى الشرع واللغة ، فقد قصد ﷺ إعلام المخاطبين بسعته جداً ، رزقنى الله ووالدَّى والمسلمين شربة من هذا الحوض لانظمأ بعدها أبداً .

(١) الصراط فى اللغة هو : الطريق الواضح ، مشتق من صرطه يصرطه إذا ابتلعه ، سمى به الطريق لأنه يبتلع المارة . ومعناه فى الشرع : جسر ممدود على ظهر جهنم ، يرده الأولون والآخرون ، حتى الكفار والأنبياء والصديقون ومن يدخل الجنة بغير حساب ، قال تعالى : ﴿ **وإن منكم إلاَّ واردُها كانَ على ربِّكَ حتما مقضيا ثُمَّ نُنجي الذين اتقوا ونذرُ الظالمينَ فيها جثياً** ﴾ والصراط من السمعيات التى يتعين الإيمان بها ، فهو ثابت بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة ، واتفاق أكثر خلفها ، فمن الكتاب قوله تعالى : ﴿ **فاهْدوهم إلى صراط الجحيم** ﴾ وقوله عز من قائل : ﴿ **ولوْ نشاءُ لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يُبصرون** ﴾ وقد ورد فى السنة المطهرة الصحيحة مايوضح كيفية وصفة المرور على الصراط ، فمن الناس من يجتازه كالبرق الخاطف ، ومنهم من يجتازه كالريح العاتية ، ومنهم من هو كالجواد ، ومنهم من يخر على وجهه ، وكل ذلك وارد فى الأحاديث . فعند مسلم من حديث أبى سعيد الخدرى قول النبى ﷺ : « **فتقومان جنبتي الصراط يمينا وشمالا ، فيمر أولكم كمر البرق ، ثم كمر الريح ، ثم كمر الطير ، وشد الرِجَال تجرى بهم أعمالهم ، ونبيكم قائم على الصراط يقول : يارب سلم سلم ، حتى تعجز أعمال الرجال ، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع إلا زحفا . وفى حافتى الصراط كلاليب (حديدة معوجة الرأس) معلقة ، مأمورة بأمر من أمرت به ، فمخدوش ناج ، ومكدوس فى النار** » . ومفاد ذلك أن سرعة المرور ويسره ، وبطئه وعسره يكون على قدر العمل . وخلاصة الأمر أنه يجب الاعتقاد فى الصراط والإيمان به شرعاً وعقلا .

(٢) شفاعة النبى ﷺ يوم القيامة فى أهل الكبائر من أمته معتقد يجب التصديق به ، ومعنى الشفاعة فى اللغة الوسيلة والطلب . أما تعريفها فى العرف والاصطلاح : سؤال الخير للغير . وقد ورد بها الكتاب والسنة . قال تعالى : ﴿ **مَا مِنْ شفيع إلا من بعد إذْنه** ﴾ . وقال شفيع الأمة ﷺ : « **شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى** » (أخرجه ابن ماجه وأبو داود والترمذى، وهو حديث صحيح) فيجب الإيمان بأن فى الآخرة شفاعة لنبينا محمدٍ وغيره من الانبياء والاخيار . هذا ولقد زعم فريق من الناس أن شفاعة النبى ﷺ لرفع الدرجات لا أنها وسيلة لغفران الذنوب ، وهذا الزعم مخالف لما ثبت عن النبى ﷺ فى قوله : « **لكل نبى دعوة دعاها لأمته ، وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة** » .

وأعلم أن الشفاعة المشهورة خمسة : الأول : الشفاعة فى فصل القضاء لإراحة الخلق جميعاً من طول الوقوف والمشقة ، وهذا النوع خاص بنبينا محمدٍ ﷺ باتفاق ، فإنه حينما يطول الوقوف ويشتد الكرب =

شفاعات ﴿ ولا يشْفَعُونَ إلا لمن ارتضَى وهم مِنْ خشيتِهِ مُشْفقُونَ ﴾[1] ولا تنفع الكافر شفاعة الشافعين[2] .

وجـود الجنـة والنـار

والجنة والنار مخلوقتان[3] لايفنيان.[4]

= على العباد ، يلهمون أن الأنبياء هم الواسطة بين الله وخلقه ، فيذهبون إلى الأنبياء من آدم إلى عيسى ، ويسألونهم الشفاعة في الانصراف من الموقف فكل واحد من الأنبياء يقول لست ها ، نفسي نفسي ، فإذا انتهى الأمر إلى نبينا محمد يقول : أنا ها أنا ها أمتي أمتي ، ثم يشفع في فصل القضاء .

النوع الثاني من الشفاعة : إدخال فريق الجنة بغير حساب فقد ورد أنه ﷺ قال : « **يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب** » فهذا الحديث يدل على أن النبي ﷺ سأل ربه أن يدخل قوماً الجنة بغير حساب وأجاب الله طلبه . النوع الثالث : الشفاعة في زيادة الدرجات في الجنة لبعض الناس ، وهذا النوع ليس خاصاً بنبينا محمد بل يشاركه فيه الأنبياء والملائكة والصالحون . وهذه الأنواع الثلاثة لم يخالف في نوعها أحد من العلماء . النوع الرابع : الشفاعة فيمن استحق دخول النار من عصاة المؤمنين أن لايدخلها .

النوع الخامس : الشفاعة في إخراج بعض عصاة المؤمنين من النار .

(١) الأنبياء : ٢٨ .

(٢) مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ **ماسَلَكَكُم في سقر قالوا لمْ نكُ منَ المصلين ولم نكُ نُطْعِمُ المسكين وكنَّا نخوض مع الخائضين وكنا نكذِّبُ بيَوْمِ الدين حتى أتانا اليقين فما تنفعُهُم شفاعةُ الشافِعِينَ** ﴾ .

(٣) أجمع جمهور المسلمين أن الجنة والنار موجودتان الآن ومخلوقتان خلافاً لما ذهبت إليه المعتزلة والخوارج من أنهما لم يخلقا بعد ، وليس للمعتزلة والخوارج حجة أو برهان على صحة أقوالهم ، ولقد استدل جمهور العلماء على وجود الجنة والنار الآن بعدة أدلة منها :

خبر النبي ﷺ أنه رأى الجنة ليلة الإسراء ، وأنه رأى سدرة المنتهى في السماء السادسة ، وقد قال تعالى : ﴿ **ولقد رآهُ نزلة أخرى عند سدرة المنتهى** ﴾ ، فصح أن جنة المأوى في السماء السادسة وقد أخبر تعالى اسمها أنها الجنة التي يدخلها المؤمنون يوم القيامة فقال سبحانه : ﴿ **لهُم جناتُ المأوى نزلاً بما كانوا يعملون** ﴾ .

وقصة آدم وحواء دليل على وجود الجنة وأنها مخلوقة ، وقد أخرجه الله منها وأهبطه إلى الأرض وكذلك اتفقوا على وجود النار الآن فهي مُعدَّة للكافرين . وهذه القضية مفصلة في الفصل في الملل والنحل للإمام ابن حزم ٤/٦٨ .

(٤) اتفقت فرق الأمة كلها على أنه لافناء لجنة ولا لنعيمها ، ولا للنار ولا لعذابها إلا جهم بن صفوان وأبا هذيل العلاف وقوماً من الروافض ممن لايعتد بهم .

فالجنة مأوى أوليائه ، النار عقاب لأعدائه ، وأهل الجنة فيها مخلدون .

﴿ إنَّ المجْرِمينَ فى عَذابِ جَهَنَّمَ خالدُونَ لايفُتر عنهم وهم فيه مُبْلِسُونَ ﴾ [1] ويؤتى بالموت فى صورة كبش أملح ، فيذبح بين الجنة والنار ، ثم يقال : ﴿ ياأهل الجنة خلود ولاموت ، ويا أهل النار خلود ولاموت ﴾ [2] .

= أما جهم فقال : إن الجنة والنار يفنيان ويفنى أهلهما ، وقد أدى به هذا القول إلى حملة شديدة شنتها عليه الأمة منكرة قوله ، مفندة رأيه ، مبطلة زعمه .

وأما أبو هذيل العلاف فقد قال : إن أهل الجنة وأهل النار لايفنون ولكن تفنى حركاتهم ، ويبقون بمنزلة الجماد لايتحركون ، وهو رأى باطل مردود .

ومن عجب أنه يقع فى هذا المأزق شيخ الإسلام ابن القيم وأستاذه ابن تيميه فيقولان بفناء النار وقد ردّ عليها أئمة الإسلام أمثال السبكى ، والصنعانى ، وانظر مقدمتنا لكتاب « حادى الأرواح » لابن القيم بتحقيقنا ، حيث إننى قمت بتوضيح هذه المسألة وبيان وجه الحق فى هذه القضية .

والأدلة على بقاء الجنة والنار أكثر من أن تحصى ، ومن ذلك قوله تعالى عن أهل الجنة وأهل النار ، كل حسب مقامه ﴿ خالدين فيها أبداً ﴾ فاعتقد فى بقائهما وعض على ذلك بالنواجذ .

(١) الزخرف : ٧٥

(٢) حديث صحيح . أخرجه البخارى فى الرقاق باب يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب ١٣٦/٤ ، ومسلم فى كتاب الجنة باب النار يدخلها الجبارون ، والجنة يدخلها الضعفاء ٢١٨٨/٤ حديث ٤٠ ، وأحمد فى المسند ١١٨/٢ .

عقيدة ختم النبـوة

ومحمد رسول الله ﷺ خاتم النبيين(١) وسيد المرسلين ، ولا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته ، ويشهد بنبوته ، ولا يُقْضى بين الناس فى يوم القيامة إلابشفاعته ، ولاتدخل الجنة أمة إلا بعد دخول أمته ، صاحب لواء الحمد ، والمقام المحمود ، والحوض المورود ، وهو إمام النبيين وخطيبهم ، وصاحب شفاعتهم، أمته خير الأمم، وأصحابه خير أصحاب الأنبياء عليهم السلام .

---

(١) من مبادىء الإيمان بعد التوحيد ، أن محمداً ﷺ قد ختم الله به النبوة ، وأنه لانبى بعده ، وأنه لا وحى بعده ، ولا إلهام يكون حجة شرعية ، وهذه العقيدة هى المعروفة بـه عقيدة ختم النبوة ، فى الإسلام واعتبرتها الأمة الإسلامية من عصر النبى ﷺ إلى يومنا هذا جزءاً من الإيمان من غير أدنى خلاف ، والعشرات من الآيات القرآنية ، والمئات من الأحاديث النبوية عليها شاهدة . ففى القرآن يقول الحق تبارك اسمه : ﴿ **ماكانَ محمدٌ أبا أحدٍ من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيّين** ﴾ ، وجاءت السنة الصحيحة مبينة لهذا المعنى ففى صحيح البخارى عن أبى هريرة – رضى الله عنه – عن النبى ﷺ قال : « **كانت بنو إسرائيل تسُوسُهم الأنبياء كلما هلك نبى خلفه نبى ، وأنه لا نبى بعدى** » . وفى البخارى كذلك أن النبى ﷺ قال : « **إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضعَ لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون له ، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة . قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين** » . وفى رواية مسلم عن جابر « **فأنا موضع اللبنة وأنا خاتم النبيين** » . وعلى هذا الأمر انعقد إجماع المسلمين ، وأصبح بمنزلة المعلوم من الدين بالضرورة . ولكن لابد هنا من إشارة إلى أن النبى ﷺ كما أوضح عقيدة ختم النبوة فى مئات الأحاديث أخبر أيضاً عما يحدث فى المستقبل بقوله ﷺ : « **لاتقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريبا من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله** » (رواه البخارى) . وقال أيضا : « **إنه سيكون فى أمتى كذابون ثلاثون ، كلهم يزعم أنه نبى ، وأنا خاتم النبيين لا نبى بعدى** » (رواه مسلم) . وفى هذين الحديثين أطلق النبى ﷺ على مُدّعى النبوة لفظ «الدجال» ومعناه المخادع الشديد الخداع ، وبهذا التعبير نبه النبى ﷺ إلى هؤلاء الذين يدَّعون بعده ، ويستعملون سلاح الدجل والتلبيس متظاهرين بالإسلام ، محاولين تغيير العقائد الإسلامية ليلبسوا به على بعض الجهلة ولكيلا تقع الأمة فى هذا الخداع قال : « **أنا خاتم النبين** » . وقد حدث ماأخبر به النبى ﷺ فظهر ناس فى التاريخ وادعوا النبوة متظاهرين بالإسلام ، عاملين بالدجل والتلبيس لترويج دعواهم ، ولكن أمة محمد ﷺ ، كانت دائما على بينه من كتاب ربها وسنة نبيها ﷺ ، فكلما ظهر متنبىء فى التاريخ وادعى النبوة أجمعت على كفره وإخراجه عن دائرة الإسلام ، وكلما قدمت قضية المتنبىء إلى حكومة إسلامية أصدرت الحكم بكفره وعاملته معاملة الكفار ، ولم تطلب منه دلائل على النبوة التى يزعمها سواء أكان ذلك مسيلمة الكذاب ، أم الأسود العنسى ، أم سجاح ، أم طليحة أم رشاد خليفة ، ام غيرهم ممن ادعوا النبوة قديما وحديثاً لأن عقيدة ختم النبوة فى وضوحها وقطعيتها بمكان لاتقبل أى تأويل، والخلاصة أن الأمة الإسلامية متفقة على ختم النبوة بمحمد رسول الله ، خاتم الأنبياء وأن من جاء مدعيا النبوة بعده فهو كاذب ، ومصدقه كافر ، وعلى هذا فالبهائية وأتباعها والقاديانية وأصحابها كفار =

فضـــائل الخلفـــاء الراشـــدين

وأفضل أمته أبو بكر الصديق[١] ، ثم عمر الفاروق[٢] ، ثم عثمان ذو النورين[٣] ، ثم علىٌّ المرتضى[٤] – رضى الله عنه – لما روى عن عبد الله بن عمر[٥] – رضى الله عنهما – قال : « كنا نقول والنبى ﷺ حى : أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على ، فيبلغ ذلك النبى ﷺ فلا ينكره »[٦] .

وصحت الرواية عن على – رضى الله عنه – أنه قال : « خير هذه الأمة بعد نبيِّها أبو بكر ثم عمر ولو شئت سميت الثالث »[٧] .

بالإجماع لعدم إيمانهم بختم نبوة رسول الله ﷺ . فاعتقد أخا الإسلام – بأن محمداً خاتم الرسل وسيد الأنبياء وعض على ذلك بالنواجذ وإياك والدجالين الكذابين .

(١) هو الصحابى المفضال الجليل أبو بكر الصديق عبد الله بن أبى قحافة ، خليفة رسول الله ، ومؤنسه فى الغار رضوان الله تعالى عليه . له – رحمة الله عليه – ترجمة فى تاريخ الخلفاء للسيوطى ص٢٧ ، وتذكرة الحفاظ للذهبى ٢/١ ، وابن العماد فى شذرات الذهب ٢٧/١ ، وابن سعد فى الطبقات ٣ / ١١٩ .

(٢) هو الخليفة الراشد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أبو حفص الفاروق ، كان الخليفة الثانى لرسول الله ﷺ ، وسيرته أكبر من أن يحصيها كتاب ، راجع ترجمته فى تاريخ الخلفاء للسيوطى ص١٠٨ ، وتذكرة الحفاظ ٥/١ ، وطبقات القراء لابن الجزرى ٥٩١/١ ، والنجوم الزاهرة ٧٨/١ .

(٣) هو ذو النورين الصحابى الكريم عثمان بن عفان أبو عمرو الأموى الذى له الفضل فى جمع الأمة على مصحف واحد ، هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة عاش بضعاً وثمانين سنة . انظر ترجمته فى أسد الغابة ٥٨٤/٣ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطى ص١٤٧ ، وتذكرة الحفاظ ٨/١ ، وطبقات القراء للذهبى ٢٩/١ .

(٤) هو أمير المؤمنين ، وصهر خاتم النبيين الصحابى الكريم على بن أبى طالب الذى له كل التقدير فى علمه وعمله وخلقه . استشهد فى رمضان وسنة ستون سنة . انظر ترجمته فى تاريخ الخلفاء ١٦٦ ، وتذكرة الحفاظ ١٠/١ ، والنجوم الزاهرة ١١٩/١ ، والإصابة ١٠٥/٢ ، وأسد الغابة ٩١/٤ .

(٥) هو الصحابى الجليل ابن الصحابى الجليل عبد الله بن عمر بن الخطاب أبو عبد الرحمن أحد الأعلام فى العلم والعمل ، شهد الخندق وهو من أهل بيعه الرضوان ، ومناقبه جمَّة ، ويكفيه فخراً ثناء النبى ﷺ ، توفى ابن عمر سنة أربع وسبعين هـ . راجع ترجمته فى أسد الغابة ٣٤٠/٣ وتذكرة الحفاظ ٣٧/١ ، وطبقات القراء لابن الجزرى ٤٣٧/١ .

(٦) إسناده صحيح . وفيه زيادة : « فيبلغ ذلك النبى ﷺ فلا ينكره » وهى زيادة ثابته ، فإنها وردت من طريق ابن أبى أويس وفيها عن عبد الله بن عمر قال : « فيبلغ ذلك النبى فلا ينكره » والحديث أخرجه أحمد فى المسند ١٤/٢ ، وابن أبى عاصم فى كتاب السنة حديث ١١٩٥ ، ١١٩٦ .

(٧) حديث صحيح . أخرجه ابن أبى عاصم فى كتاب السنة ص٥٥٦ حديث ١٢٠١ ، وقال الألبانى : أخرجه عبد الله بن احمد ١٠٦/١ . وفى رواية أخرى ، « **فما منعنى أن أسأله عن الثالث إلا خشية أن يعدلها عن نفسه** » .

وروى أبو الدرداء[1] عن النبى ﷺ أنه قال : « **ماطلعت الشمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على أفضل من أبى بكر** »[2] .

وهو أحق خلق الله بالخلافة بعد النبى ﷺ لفضله وسابقته ، وتقديم النبى ﷺ له فى الصلاة على جميع الصحابه – رضى الله عنهم – وإجماع الصحابة على تقديمه ومبايعته ولم يكن الله ليجمعهم على ضلالة[3] – ثم من بعده عمر

---

(١) أبو الدرداء هو الصحابى الجليل عويمر بن زيد الأنصارى الخزرجى ، كان يقال له حكيم الأمة ، شهد أحد ، وأبلى يومها بلاء حسناً ، وكان عالم الشام ومقرىء أهلها . مات – رضوان الله عليه – سنة اثنتين وثلاثين هـ. له ترجمة فى تذكرة الحفاظ ٢٤/١ ، وطبقات القراء لابن الجزرى ٦٠٦/١ ، والعبر ٣٣/١ ، والنجوم الزاهرة ٨٩/١ .

(٢) ورد هذا الحديث بألفاظ متقاربة فى كتاب السنة لابن أبى عاصم باب ماذكر من فضائل أبى بكر الصديق ص٥٦٢ حديث رقم ١٢٢٤ .

(٣) كانت خلافة أبى بكر الصديق – رضوان الله عليه – للمسلمين عن استحقاق وجدارة ، فقد قدَّمه رسول الله ﷺ لإمامة المسلمين فى الصلاة أثناء مرضه ، وهذه إشارة لطيفة إلى أنه رضيه للإمامة فى الدين ، فهو بذلك لإمامة المسلمين فى شئون دنياهم أجدر .

وإليك قصة توليته الخلافة بعد وفاة رسول الأمة ﷺ :

فقد صلى أبو بكر بالمسلمين الصبح ، وكان إذ ذاك قد أفاق الرسول ﷺ إفاقة من غمرة ماكان فيه من الوجع ، وكشف سترة الحجرة ، ونظر – ﷺ – إلى المسلمين وهم صفوف فى الصلاة خلف أبى بكر ، فأعجبه ذلك ، وتبسم ، حتى همَّ المسلمون أن يتركوا ماهم فيه من الصلاة لفرحهم به ، وحتى أراد أبو بكر أن يتأخر ليصل إلى الصف ، فأشار إليهم – ﷺ – أن يمكثوا كماهم ، وأرخى الستارة ، وكان آخر العهد به ﷺ ، فلما انصرف أبو بكر من الصلاة دخل عليه ، وقال لعائشة : ما أرى رسول الله ﷺ إلا قد أقلع عنه الوجع ، وهذا يوم بنت خارجة – يعنى إحدى زوجتيه – وكانت ساكنة بالسنح شرق المدينة ، وتوفى رسول الله ﷺ حين اشتد الضحى .. فذهب سالم بن عبيد وراء الصديق فأعلمه بموت رسول الله ﷺ فجاء أبو بكر إلى منزل عائشة ، فكشف عن وجه النبى ﷺ ، وأكب على وجهه يقبله وقال : « بأبى أنت وأمى يارسول الله طبت حياً وميتاً » . ثم خرج إلى الناس فى المسجد ، فرقى المنبر ثم قال بعد حمد الله والثناء عليه : من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لايموت .. إلى آخر الخطبة المعروفة .

ثم إنه بعد دفن النبى ﷺ اجتمعت الأنصار فى سقيفة بنى ساعدة يتشاورون فى أمر الخلافة ، وبلغ ذلك المهاجرين ، فقالوا نرسل إليهم يأتوننا . فقال أبو بكر : بل نمشى إليهم . فقال بعض الأنصار : منا أمير ومنكم أمير . فقال أبو بكر كلاماً مصيبا منه : نحن الأمراء وأنتم الوزراء ، وأخذ التشاور مجراه حتى سلم الجميع بالخلافة لأبى بكر وبايعوه حتى صار أميراً وخليفة لرسول الله ﷺ .

بقى أن أقول : إن هناك بعض الروايات التى تثبت أن علياً بن أبى طالب امتنع عن مبايعة أبى بكر ولم يرض عن المبايعة له . فاعلم أنها روايات كاذبة ، وأن عليا كرم الله وجهه بايع أبا بكر على الخلافة ورضيه =

– رضى الله عنه – لفضله[1] ، وعهد أبى بكر إليه . ثم عثمان – رضى الله عنه[2] – لتقديم أهل الشورى له . ثم على – رضى الله عنه[3] – لفضله وإجماع أهل عصره عليه ، وهؤلاء الخلفاء الراشدون المهديون الذين قال رسول الله ﷺ فيهم : « **عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى عضوا عليها بالنواخذ** »[4] .

وقال ﷺ : « الخلافة من بعدى ثلاثون سنة »[5] .

فكان آخرها خلافة على رضى الله عنه .

= خليفة للمسلمين رضوان الله عليهم جميعاً . انظر تفصيل ذلك فى البداية والنهاية لابن كثير ٥/٢٤٤ والعواصم من القواصم لأبى بكر بن العربى .

(١) وردت عدة أحاديث صحيحة عن النبى ﷺ تبين فضائل ومناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – منها ماأخرجه البخارى ومسلم عن أبى هريرة – رضى الله عنه . قال : قال رسول الله ﷺ : « **لقد كان قبلكم محدثون (أى ملهمون) فإن يك فى أمتى فعمر** » .

هذا ولقد استخلفه أبو بكر – رضوان الله عليه – ليكون خليفة للمسلمين ، فإنه لما مرض أبو بكر ، وأحس بدنو أجله أرسل إلى عمر واستخلفه على المسلمين ، ووافق المسلمون جميعاً على هذا الإستخلاف ، بل وخرجوا إلى المسجد لمبايعته رضوان الله عليه ، وقد ظهرت بركة الإسلام فى عهده كما كانت فى عهد سلفه أبى بكر ، فحكم بين المسلمين بالعدل ، وكان نعم الحاكم الذى ضنت الدنيا أن تأتى بمثله .

(٢) عثمان بن عفان هو الخليفة الثالث للمسلمين ، وقد شهد له الرسول ﷺ بطهارة السيرة ، وحسن الخاتمة ، وهو جدير بهذه الخلافة وهذا الفضل ، فقد قال عبد الله بن مسعود حين بويع عثمان « بايعنا خيرنا ولم نأل » ووصفه على بعد انقضاء أجله بقوله : « كان عثمان أوصلنا للرحم ، وكان من الذين آمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين » . وكل ماقيل فى عثمان من مساوىء فمكذوب عليه وباطل فلا تنظر إليه .

(٣) فضائل على بن أبى طالب وفيرة فيكفيه شرفاً أنه أول من آمن من الصبيان ، وأنه صهر رسول الله ﷺ وابن عمه ، وقد أجمع أهل عصره على إمامته وفضله .

(٤) سبق تخريجه .

(٥) حديث صحيح . ذكره السيوطى فى الجامع الصغير وعزاه إلى أحمد والترمذى وابن حبان ، وقال الألبانى : صحيح . انظر صحيح الجامع ١/٦٣٠ حديث ٣٣٤١ ، والسلسلة الصحيحة حديث ٤٦٠ .

المبشـــرون بالجنـــة

ونشهد للعشرة بالجنة كما شهد لهم النبى ﷺ فقال : « أبو بكر فى الجنة ، وعمر فى الجنة ، وعثمان فى الجنة ، وعلى فى الجنة ، وطلحة فى الجنة [1] ، والزبير[2] فى الجنة ، وسعد[3] فى الجنة ، وسعيد[4] فى الجنة ،

---

(١) هو الصحابى الجليل أبو محمد طلحة بن عبيد الله الملقب بطلحة الخير ، يجتمع نسبه مع رسول الله ﷺ فى مرّة بن كعب ، أسلم طلحة فى بداية الدعوة ، فكان بذلك من السابقين إلى الإسلام ، كما أنه كان أحد أبطال غزوتى بدر وأحد ، بشره النبى ﷺ بالجنة وأثنى عليه ثناء حسناً . قتل رضوان الله تعالى عليه يوم الجمل فى جمادى الآخرة سنة ٣٦ هـ وكان له من العمر أربع وستون سنة .

(٢) هو الصحابى الجليل المشهود له بالجنة الزبير بن العوام القرشى الأسدى ، يجتمع نسبه مع رسول الله ﷺ فى قُصَىّ بن كلاب ، شهد الزبير بدراً والحديبية والمشاهد كلها ، لم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله ﷺ ، كما أنه أحد الستة أهل الشورى الذين قال عمر بن الخطاب فيهم : « توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض » وفيه يقول حسان بن ثابت شاعر الرسول :

أقام على عهد النبى وهديه ... حواريه والقول بالفعل يعدل
أقام على منهاجه وطريقه ... يوالى ولى الحق والحق أعدل
هو الفارس المشهور والبطل الذى ... يصول إذا ماكان يوم محجل
له من رسول الله قربى قريبة ... ومن نصرة الإسلام مجد مؤثل

قُتِلَ الزبير بن العوام – رضى الله عنه – فى موقعه الجمل يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ستٍ وثلاثين هـ .

(٣) هو الصحابى المفضال ، والبطل المغوار سعد بن مالك بن وهيب بن عبد مناف الشهير بـ سعد بن أبى وقاص ، أسلم على يد أبى بكر الصديق فى بداية الدعوة وهو ابن تسع عشرة سنة ، وكان سابع ستة دخلوا دين الله وبايعوا رسوله ، وقصة إسلامه مشهورة ، وهى تدل على صلابة عقيدته ، وصموده أمام العقبات والتحديات ، وهو أول من رمى بسهم فى الإسلام ، ولم يخص رسول الله ﷺ أحداً بأبويه غيره ، فعن على كرم الله وجهه قال : « ماجمع رسول الله ﷺ أبويه لأحد غير سعد بن مالك ، فإنه جعل يقول له يوم أحد ، : « فداك أبى وأمى » أخرجه مسلم ، وفضائل سعد ومناقبه لاتحصى ، ويكفيه فخراً أنه أحد المبشرين بالجنة . مات سعد بن أبى وقاص بالعقيق على بعد عشرة أميال من المدينة ، وحُمل على أعناق الرجال إلى المدينة ، ودفن بالبقيع ، وكان ذلك سنة خمس وخمسين من الهجرة العطرة .

(٤) هو الصحابى التقى النقى سعيد بن زيد القرشى العدوى ، يجتمع مع رسول الله ﷺ فى كعب بن لؤى ، كما أن عمر بن الخطاب ابن عم أبيه ، كان زيد والد سعيد يطلب دين الحنفية دين إبراهيم قبل أن يبعث النبى ﷺ وكان لايذبح للأنصاب ، ولايأكل الميتة ولا الدم ، ومات زيد فى الفترة قبل بعثة النبى ﷺ . وسعيد بن زيد الصحابى الجليل أسلم فى بداية أمر الدعوة هو وزوجته أم جميل بنت الخطاب أخت عمر ، وهاجر هو وزوجه ، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ إلا بدراً ، وكان زاهداً عابداً ، وبشره نبى الأمة ﷺ بالجنة . توفى – رضوان الله عليه – بالعقيق ، ودفن بالمدينة سنة إحدى وخمسين هجرية وهو ابن بضع وسبعين سنة .

وعبد الرحمن بن عوف [1] **فى الجنة ، وأبو عبيدة بن الجراح** [2] **فى الجنة »** [3] .

وكل من شهد له النبى ﷺ بالجنة شهدنا له بها كقوله : « **الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة** » [4]،

وقوله لثابت بن قيس : « **إنه من أهل الجنة** » [5] .

---

(١) هو الصحابى الطاهر التقى المجاهد أبو محمد عبد الرحمن بن عوف ، أسلم قديماً قبل أن يدخل النبى ﷺ دار الأرقم ، وكان ذلك على يد أبى بكر الصديق ، وهاجر إلى المدينة ، وعمل بالتجارة فى سوق المدينة ، فكان أميناً عارفاً بحقوق الله ، شهد الغزوات كلها مع رسول الله ﷺ وهو أحد الثمانية الذين سبقوا بالإسلام ، وأحد الستة أصحاب الشورى ، وكان عمر بن الخطاب كثيراً مايرجع إلى رأيه فى كثير من الأمور ، كما أن ابن عوف كان كثير التصدق بماله فى سبيل الله ، توفى رضوان الله عليه سنة إحدى وثلاثين هجرية ، وهو ابن خمس وسبعين سنة ، ودفن بالبقيع ، وصلى عليه عثمان ، وكان أوصى بذلك .

(٢) هو أمين الأمة وصاحب رسول الله ﷺ أبو عبيدة بن الجراح ، يجتمع مع رسول الله ﷺ فى فهر بن مالك . أسلم قديماً مع عثمان بن مظعون على يد أبى بكر الصديق ، كان – رضوان الله عليه – رجلا طويلا نحيفا ، هاجر إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية ، ثم هاجر إلى المدينة ، وقد اختصه النبى بأنه أمين هذه الأمة ، فعن أنس بن مالك – رضى الله عنهما – قال : قال رسول الله ﷺ : « **لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح** » (أخرجه البخارى ومسلم) ، وقد شهد أبو عبيدة مع النبى ﷺ بدراً ومابعدها من المشاهد كلها ، وشهد بيعة الرضوان ، وقتل أبوه يوم بدر كافراً ، وكان أبو عبيدة زاهداً شديد الخوف من الله متواضعاً مات – رضى الله عنه – فى طاعون « عمواس » بالأردن من الشام سنة ثمان عشرة فى خلافة عمر بن الخطاب ، وهو ابن ثمان وخمسين سنة ، وصلى عليه معاذ بن جبل .

(٣) الحديث صحيح . أخرجه أحمد فى المسند ١٨٧/١ ، ١٨٨ ، ١٩٣ ، وأورده السيوطى فى الجامع الصغير ٦/١ وعزاه إلى الضياء والترمذى ، وانظر صحيح الجامع الصغير ٧١/١ حديث رقم ٥٠ .

(٤) حديث صحيح . أخرجه أحمد فى المسند ٣/٣ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٨٢ ، وعزاه السيوطى فى الجامع الصغير إلى الطبرانى فى الكبير ، وكذلك فى الأوسط ، وابن عدى فى الكامل ، وانظر السلسلة الصحيحة للألبانى ٧٩٦ ، وصحيح الجامع الصغير ٦٠٧/١ حديث رقم ٨١٣٠ .

(٥) هو الصحابى الجليل ثابت بن قيس بن شماس بن زهير بن مالك بن امرىء القيس، يعرف ثابت بخطيب الأنصار، شهد أحداً وما بعدها ، وبشره النبى ﷺ بالجنة، وكان صاحب مناقب وفضائل، ومن فضائله مارواه الترمذى بإسناد حسن «**نعم الرجل ثابت بن قيس**» قتل رضوان الله تعالى عليه فى معركة اليمامة انظر أسد الغابة ٧٤/١، والإصابة ١٩٥/١ . بقى أن نقول : إن أصل هذه البشارة حديث أخرجه الحاكم فى مستدركه ٢٣٤/٣ بإسناد صحيح، والمتقى الهندى فى كنز العمال ٦٥٩/١١ حديث ٣٣١٨٣ ولفظه قال رسول الله ﷺ «**ياثابت ! ألا ترضى أن تعيش حميداً، وتقتل شهيداً وتدخل الجنة**» . فرحمة ونوراً لروحه الطاهرة .

الحـــذر من تكفـــير النـــاس

ولا نجزم لأحدٍ من أهل القبلة بجنة ولا نار إلا من جزم له الرسول ﷺ لكنا نرجو للمحسن ، ونخاف على المسيء ، ولا نكفّر أحداً من أهل القبلة(١)

---

(١) اتفق أهل السنة والجماعة على أنه لا يجوز لمسلم أن يكفر من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ذلك أن الإسلام يطالبنا أن نأخذ بالظاهر والله يتولى السرائر ، فكل من شهد أنه لا إله إلا الله ، يعد من المسلمين مهما ارتكب من معاص ، وفعل من ذنوب ، مادام لم يشرك بالله ولم يتخذ معه آلهة أخرى ، فقد قال تبارك اسمه : ﴿ **إنَّ الله لا يغفر أنْ يُشرَك به ويغفر مادونَ ذلك لمنْ يشاء** ﴾ .

والحق أنه لم تظهر هذه الظاهرة الخطيرة – أعنى ظاهرة التكفير – إلا مع ظهور الخوارج الذين لم يرتضوا التحكيم بين على ومعاوية وخرجوا عليه ثم حكموا عليه بالكفر ، ومع ذلك لم يكفرهم علىّ فإنه لما سئل عنهم قال : إخواننا بغوا علينا . والذى ينبغى علينا أن نعلمه أن الكفر فى لغة القران قد يراد به الكفر الاكبر ، وهو الذى يُخرج الإنسان من الملة ، ويوجب له الخلود فى النار . وقد يراد به الكفر الأصغر ، وهو الذى يوجب لصاحبه الوعيد دون الخلود فى النار ، ولا ينقل صاحبه من ملة الإسلام . إنما يدمغه بالفسوق أو العصيان .

فالكفر بالمعنى الأول : هو الإنكار أو الجحود المتعمد لما جاء به محمد ﷺ أو بعض ماجاء به مما عُلم من دينه بالضرورة .

والكفر بالمعنى الثانى : يشمل سائر المعاصى التي يخالف بها أمر الله ، أو يرتكب بها مانهى عنه ، وفيه جاءت أحاديث كثيرة ، مثل قوله ﷺ : « **من حلف بغير الله فقد كفر** » وقوله : « **سباب المسلم فسوق وقتاله كفر** » و « **لاترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض** » فإن الكفر الوارد فى هذه النصوص وأمثالها ليس كفراً ناقلا عن الملة ، والدليل على ذلك : أن بعض الصحابة تقاتلوا ولم يكفر بعضهم بعضاً . كما أثبت القرآن الكريم إيمان الطائفتين المقتتلتين فقال سبحانه : ﴿ **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا** ﴾ ومثل ذلك قوله ﷺ : « **من أتى كاهنا أو عرافاً فصدقه بما يقوله فقد كفر بما أنزل على محمد** » ونحوه ومازال الناس فى مختلف الأزمنة يحلفون بغير الله ، ويصدقون الكهان والعرافين ، ولم يعتبرهم أهل العلم طوال القرون الماضية كفاراً مارقين من الإسلام ، ولم يحكموا بردتهم ، ولكنهم ينكرون عليهم ويحذرونهم من عصيان الله ، وعلى هذا فإن المعاصى والكبائر – وإن أصر صاحبها عليها ولم يتب منها – تخدش الإيمان وتنقصه ، ولكنها لاتنفيه عنه بالكلية ، والدليل على ذلك مارواه البخارى عن عمر بن الخطاب : أن رجلاً على عهد النبى ﷺ كان اسمه « عبد الله » ، وكان يلقب « حماراً » ، وكان يُضحكُ رسول الله ﷺ قد جلده فى الشراب – يعنى شرب الخمر – فأتى به يوماً ، فأمر به فجلد ، فقال رجل من القوم : اللهم العنه ، ماأكثر مايؤتى به ! فقال النبى ﷺ : « **لاتلعنوه فوالله ماعلمت أنه لايحب الله ورسوله** » ، وفى بعض الروايات « **ماعلمت إلا أنه يحب الله ورسوله** » .

فهذا مع إدمانه الشرب ، وإصراره عليه ، ينهى النبى عن لعنه ، ويقرر أنه يحب الله ورسوله ، ولقد وصل =

بذنب ، ولا نخرجه عن الإسلام بعمل ، ونرى الحج والجهاد ماضيا مع طاعة كل إمام براً كان أو فاجراً وصلاة الجمعة خلفهم جائزة .

قال أنس[1] : قال رسول الله ﷺ : « **ثلاث من أصل الإيمان : الكف عمن قال لا إله إلا الله ولا نكفره بذنب ولا نخرجه من الإسلام بعمل ، والجهاد ماض منذ بعثني الله عز وجل حتى يقاتل آخر أمتي الدجال لايبطله جور جائر ولاعدل عادل ، والإيمان بالأقدار** »[2] .

لا تسبوا أصحاب النبي

ومن السنة تولي أصحاب رسول الله ومحبتهم ، وذكر محاسنهم والترحم عليهم ، والاستغفار لهم ، والكف عن ذكر مساويهم ، وماشجر بينهم ، واعتقاد فضلهم ، ومعرفة سابقتهم[3] . قال الله تعالى : ﴿ **والذينَ جَاءُوا من**

= الأمر إلى أن هذا الرجل شرب وضرب خمسين مرة كما نقل الحافظ ابن حجر عن ابن عبد البر ، ويعلق ابن حجر على هذا الحديث مبيناً فوائده في « الفتح » قائلا : فيه الرد على من زعم أن مرتكب الكبيرة كافر ، لثبوت النهي عن لعنه ، بل والأمر بالدعاء له . وفيه أن من تكررت منه المعصية لاتنزع منه محبة الله ورسوله .

ومن هنا يجب علينا أن نعتقد أنه لايجوز تكفير المسلم بالذنب ، ولا بخطأ أخطأ فيه ، وأن نعلم أن الحكم على المسلم بخروجه من دين الإسلام ، ودخوله في الكفر لا ينبغي أن نقدم عليه إلا ببرهان أوضح من شمس النهار كأن أنكر معلوماً من الدين بالضرورة لأن « **من قال لأخيه ياكافر ، فقد باء بها أحدهما** » فلنتنبه لهذا ، ولنحذر من الإقدام على هذا الفعل ، والله يتولانا برحمته وإحسانه .

(١) هو الصحابي الجليل ، خادم رسول الله ﷺ أنس بن مالك بن النضر أبو حمزة الأنصاري ، أحد كبار الصحابة ، وأعلام الحديث ، دعا له رسول الله ﷺ بقوله : « **اللهم أكثر ماله ، اللهم أكثر ولده اللهم أدخله الجنة** » ، مات رضوان الله تعالى عليه سنة ثلاث وتسعين من الهجرة ، انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي ٤٤/١ ، وطبقات القراء لابن الجزري ١٧٢/١ ، والعبر ١٠٧/١ ، والإصابة ٨٤/١ .

(٢) حديث ضعيف . أورده السيوطي في الجامع الصغير ١٣٨/١ وعزاه إلى أبي داود ، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير ٥٢/٣ حديث ٢٥٣١ ، وانظر مشكاة المصابيح للتبريزي كتاب الإيمان ٢٥/١ باب الكبائر وعلامات النفاق حديث رقم ٥٩ .

(٣) الصحابة : جمع صحابي ، والصحابي هو كل من لقي النبي ﷺ ولو صغيراً .
وأصحاب رسول الله ﷺ هم صفوة خلق الله ، وهم مشاعل الهداية ، وأعلام الإسلام ، والمدافعون عن دينهم ، والناصرون لنبيهم ، أجمع أهل السنة والجماعة على أنه يجب على كل مسلم تزكيتهم بإثبات العدالة لهم ، والكف عن الطعن فيهم ، وكثرة الثناء عليهم ، فقد أثبت الله لهم الخيرية على سائر الأمم ، ولا شيء =

=يعادل شهادة الله لهم بذلك ، لأنه – تبارك وتعالى – أعلم بعباده ، ومانطووا عليه من الخيرات ، قال تعالى : ﴿ كنتم خير أمةٍ أخرجتْ للناس ﴾ ومادام قد شهد الحق لهم بأنهم خير الأمم ، وجب على كل أحد اعتقاد ذلك ، والإيمان به ، وإلا كان مكذباً لله تعالى فى إخباره ، ولاشك أن من ارتاب فى حقيقة شيء مما أخبر به الله أو رسوله كان كافراً بإجماع المسلمين ، هذا ولقد وردت نصوص قرآنية كثيرة توضح فضل الصحابة وتبين مكانتهم ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ والسابقُون الأولونَ من المُهَاجِرين والأنْصَارِ والذين اتبعوهم بإحْسَانٍ رضى الله عنهم ورَضُوا عنْهُ وأعَدَّ لهُمْ جنَّات تجرى تحْتَها الأنْهَارُ خالدينَ فيها أبداً ذلك الفوز العظيم ﴾ وقوله تبارك اسمه : ﴿ محمدٌ رسولُ الله والذينَ معه أشدَّاءُ على الكفارِ رُحَماءُ بَيْنَهم تراهُم رُكَّعاً سُجَّداً يبتغونَ فضْلاً منَ الله ورضواناً سيماهُمْ فى وجوههم من أثر السجودْ ذلِك مثلُهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرْع أخرجَ شطْئَهُ فآزرهُ فاستغلظ فاستوى على سوقه يُعْجِبُ الزُّراعَ ليغيظ بهمُ الكفار وعد اللهُ الذينَ آمنوا وعَمِلُوا الصالحاتِ مِنْهُم مغفِرةً وأجْراً عظيماً ﴾ وقوله عز اسمه : ﴿ والذين آمنوا وهَاجَروا وجاهَدُوا فى سبيلِ اللهِ والذينَ ءَاوَوا ونَصَرُوا أولئك هُم المؤمِنُونَ حقاً لهُم مغفرةٌ ورزقٌ كريمٌ ﴾ والآيات فى ذكر محاسنهم وفضائلهم رضوان الله عليهم أكثر من أن تحصى ، وكفاهم فخراً وشرفاً تصريح الله تعالى برضاه عنهم ، واختياره إياهم لصحبة نبيه ﷺ فهم عدول أبرار أطهار . قامت دعوة الحق سبحانه وارتفعت رايتها فى أنحاء البسيطة بفضل جهادهم فى نشرها وبيعهم الدنيا ومافيها برضا الله تعالى عنهم .

هذا ، ولقد حدثت بعض الأشياء بين بعض الصحابة – رضوان الله عليهم – جعلت مرضى القلوب فى القديم والحديث يكيلون لهم التهم ، ويلعنونهم ويسبونهم ، وذلك مثلما حدث بين على بن أبى طالب ، ومعاوية بن أبى سفيان فى موقعة الجمل وغيرها – رضوان الله عليهما .

والحق أن هذا الذى حدث بينهما لم ينقص من شأن أحدهما ، فعلىٌّ من المبشرين بالجنة على لسان نبى الأمة ﷺ ، ومعاوية من أهل الرضوان ، وكتاب الوحى ومن أصحاب رسول الأمة ، وقد أجمع أهل السنة على فضليهما ، وقالوا : إن ماشجر بينهم يجب أن نتوقف فيه ، وأن نتركه لله ، فهم متأولون مجتهدون ، وهم مع ذلك ليسوا بمعصومين من كبار الذنوب وصغارها ، ولكن مالهم من السوابق والفضل وصحبة رسوله ﷺ والجهاد معه قد يوجب مغفرة مايصدر عنهم من زلات فهم بشهادة رسول الله ﷺ خير القرون وأفضلها ، ومُد أحدهم أو نصيفه خير وأفضل من جبل أحد ذهبا يتصدق به من بعدهم .

وبسبب الجهل والغباء والوقاحة الخلقية انتشرت ظاهرة سب الصحابة فى القديم والحديث ، وعمد البعض إلى تشويه سيرتهم ، وتسويد صحائفهم ، والدس عليهم ، والمطلع الذكى يرى أن الآثار المروية فى مساويهم كلها كذب أو محرف عن وجهه ، وأن الذين يقودون حملة سب الصحابة – قديماً وحديثاً – ماهم إلا أراذل الناس وسفلتهم ، وأقلهم ديناً وعقلاً ، وإن سُمّوا فى العصر الحديث عند من لافهم له بالمفكرين العظام الكبار . ولابد لنا أن نبين الآن حكم الإسلام فيمن يسُبُّ صحابة رسول الله الأطهار . فقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – عمن سبَّ أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ . فقال « من سبّ أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ من أهل البيت وغيرهم ، فقد أطلق الإمام أحمد أنه يضرب ضرباً نكالاً ، وتوقف عن قتله وكفره». قال أبو طالب : سألت أحمد بن حنبل عمن شتم الصحابة فقال : القَتلُ أجْبُن عنه ، ولكن اضربه ضرباً نكالاً . وقال الميمونى :«سمعتُ أحمداً يقول : مالهم وما لمعاوية نسأل=

بَعْدِهم يقُولونَ ربنا أغفرْ لنَا ولإخوانِنَا الذيَن سبقُونا بالإيمانِ ولا تجْعَلْ فى قلوبنَا غِلاًّ للذِينَ آمَنُوا ﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رسولُ الله والذينَ مَعَهُ أشداءُ على الكفارِ رُحماء بُينَهُم ﴾ (٢) .

وقال النبى ﷺ : « لاتسبوا أصحابى ، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحدٍ ذهباً مابلغ مُدَّ أحدهم ولانصيفهُ » (٣) .

أمهـات طاهـرات

ومن السنة الترضى عن أزواج رسول الله ﷺ (٤) أمهات المؤمنين المطهرات

= الله العافية ثم قال لى : يا أبا الحسن إذا رأيت أحداً يذكر أصحاب رسول الله ﷺ بسوء فاتهمه على الإسلام ، وقال اسحاق بن راهويه : من شتم أصحاب النبى ﷺ يعاقب ويحبس وهذا قول كثيرامن أصحابنا . والخلاصة أن من أصناف السابة من لاريب فى كفره ، ومنهم من لايحكم بكفره ، وذلك حسب مقولته ، فاحذر - أيها المسلم - مايردده بعض مرضى القلوب اليوم من أعداء الصحابة ، ولا تلتفت إلى مايثيرون به من لاعقل لهم تجاه هذه الصفوة المختارة لصحبة أشرف الخلق ﷺ . ولكى تعرف كذب الآثار المروية التى تذكر مساوىء الصحابة والرد عليها فإنى أحيلك إلى كتاب من أعظم ماكتب فى هذا الموضوع ألا وهو كتاب « العواصم من القواصم » للقاضى الكبير والمفسر العملاق أبى بكر بن العربى المتوفى سنة ٥٤٣هـ .

(١) الحشر : ١٠ . (٢) الفتح : ٢٩ .

(٣) حديث صحيح أخرجه مسلم فى كتاب فضائل الصحابة باب تحريم سب الصحابة ١٩٦٧/١ ، ١٩٦٨ ، والهيثمى فى مجمع الزوائد ٢١/١٠ ، ومعنى قوله ﷺ : « ولا نصيفه » قال أهل اللغة : النصيف النصف ، وفيه أربع لغات : نِصْف ، ونُصْف ، ونَصْف ، ونصيف حكاهن القاضى عياض عن الإمام الخطابى - رحمه الله تعالى ..

(٤) أزواج النبى ﷺ هن من تزوجهن بنكاح صحيح ، فأولهن خديجة بنت خويلد - رضوان الله عليها - تزوجها - ﷺ بمكة المكرمة قبل البعثة ، وكانت سنه خمساً وعشرين ، وكانت تكبره بخمسة عشر عاماً ، ولم يتزوج - صلوات الله عليه وسلامه - عليها حتى توفيت ، وقد رزق منها بكل أولاده إلا إبراهيم ، وكانت أول من آمن به ، وقواه على احتمال أعباء الرسالة ، وقد ماتت - رضوان الله عليهما - قبل الهجرة بثلاث سنين عن خمس وستين سنة ، فتزوج بعدها أم المؤمنين سودة بنت زمعه ، وعقد على عائشة - رضوان الله عنها وعن أبيها - وكانت بنت ست سنين ، حتى إذا هاجر إلى المدينة بنى بها وهى بنت تسع ، ومن زوجاته ﷺ أم سلمة والتى تزوجها بعد موت زوجها الصحابى الجليل أبى سلمة ، ومنهن زينب بنت جحش ، تزوجها بعد تطليق زيد بن حارثة لها ، أو على الأصح زوجه الله إياها ، وجويرية بنت الحارث ، وصفية بنت حُيىّ ، وحفصة بنت الفاروق عمر بن الخطاب ، وزينب بنت خزيمة وكلهن أمهات المؤمنين ، وهن أزواجه ﷺ فى الآخرة .

(٢)

المبرآت من كل سوء ، أفضلهن خديجة بنت خويلد(١) ، وعائشة بنت الصديق التى برأها الله فى كتابه(٣) ، زوج النبى ﷺ فى الدنيا والآخرة فمن قذفها بما

(١) وردت أحاديث جمّة صحيحة تبين لنا فضائل أم المؤمنين خديجة بنت خويلد ، وتوضح أنها أفضل زوجات الرسول العظيم صلوات الله عليه وسلامه ، ومن ذلك ما أخرجه البخارى فى صحيحه ٣١٥/٢ عن عائشة ـ رضى عنه ـ قالت : «ماغرت على أحد من نساء النبى ﷺ ماغرت على خديجة ، وما رأيتها ، ولكن كان النبى ﷺ يكثر ذكرها ، وربما ذبح الشاة ، ثم يقطعها أعضاء ، ثم يبعثها فى صدائق خديجة ، فربما قلت له : كأنه لم يكن فى الدنيا امرأة إلا خديجة فيقول : **«إنها كانت وكانت ، وكان لى منها ولد»** . وروى البخارى من حديث أبى هريرة قال : أتى جبريل النبى ﷺ فقال : **«يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب فإذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنى ، وبشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب»** وعن على كرم الله وجهه قال : عن النبى ﷺ قال : **«خير نسائها مريم ، وخير نسائها خديجة»** رواه البخارى . وهناك نصوص أخرى وفيرة توضح فضائل أم المؤمنين خديجة رضوان الله عليها .

(٢) عائشة بنت الصديق من أمهات المؤمنين كما ذكرتُ لك آنفاً ، وهى من صويحبات الفضائل ، وقد دلت السنة الصحيحة على فضلها وكرمها ، ويكفيها شرفاً وفخراً براءة القرآن لها من كل دنس وشبهة كما سيأتيك بعد قليل ، فمن الأحاديث التى تورد فضائل عائشة ما رواه البخارى عن أبى موسى الأشعرى قال : قال رسول الله ﷺ : **«كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»** . والثريد هو الخبز المخلوط بلحم ، وقد وصفه الشاعر العربى بقوله :

إذا ما الخبز تأدمه بلحم ... فذاك أمانة الله الثريد

وعنها رضوان الله عليها قالت : قال لى رسول الله ﷺ يوماً : **«يا عائش هذا جبريل يقرئك السلام»** فقلت : وعليه السلام . يا رسول الله ترى ما لا أرى . أخرجه البخارى ٣٠٨/٢ ، ومعنى قوله : **«يا عائش»** أسلوب ترخيم تعارف عليه العرب أى يا عائشة . فرضوان الله عليها وعلى أمهات المؤمنين .

(٣) يشير بذلك إلى حادثة الإفك الذى رماها به المنافقون ، والذى تولى كبره شيخ المنافقين عبد الله بن أبى بن سلول عليه لعنة الله ، ومجمل هذا الحادث : أن رسول الله ﷺ ، كان إذا أراد أن يخرج سفراً قام بعمل قرعة بين نسائه فأيهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ ، وفى يوم من الأيام أراد النبى أن يخرج لغزو بنى المصطلق ، فقام بإجراء القرعة بين نسائه فجاءت القرعة لصالح السيدة عائشة فسافرت معه ، وبعد انتهاء الغزوة ضاع منها عقدها ، فتخلفت فى طلبه ، وحمل هودجها على أنها فيه ، وسار القوم ، ولما رجعت لم تجدهم ، فمكثت فى مكانها ظناً منها أنهم سيفقدونها ، وأخذها النوم ، فمر صفوان ابن المعطل السلمى ، وكان وراء القوم ليلتقط ما تبقى وما يتخلف منهم ، فرآها فعرفها لمعرفته بها قبل أن يضرب الحجاب ، فبرَّك ناقته ، ووَلاها ظهرها ، وحملها على الناقة وقادها إلى رسول الله ﷺ حيث إن صفوان لحق بالقوم فى الطريق ، فرموها بصفوان ، ونشأ ذلك بين المنافقين وضعفاء الإيمان ، وشق ذلك على النبى ﷺ وقال : **«والله ما علمت عليها إلا خيراً»** وأنزل الله براءتها مما رميت به فقال سبحانه : **﴿إنَّ الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خيرٌ لكم لكل امرىء منهم ما اكتسب من الإثم والذى تولىَّ كبرهُ منهم له عذابٌ عظيم﴾** الآيات من سورة النور . فقد رسول الله

برأها الله منها فقد كفر بالله العظيم .

ومعاوية خال المؤمنين[1] ، وكاتب وحى الله ، وأحد خلفاء المسلمين رضى الله عنهم . ومن السنة السمع والطاعة لائمة المسلمين برهم وفاجرهم مالم يأمروا بمعصية الله ، فإنه لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، ومن ولىَ الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به أو غلبهم بسيفه حتى صار خليفة وسمى أمير المؤمنين وجبت طاعته وحرمت مخالفته والخروج عليه وشق عصا المسلمين[2] .

= ﷺ شكراً لله تعالى . فاعتقد أخى المسلم فى براءتها فمنكر البراءة كافر لتكذيبه بما جاء فى القرآن.راجع حديث الإفك فى صحيح مسلم ، وصحيح البخارى ، وفى كتابى « الثلاثة الذين تكلموا فى المهد » ص ١٠٨ وما بعدها .

(١) هو الصحابى الجليل ، أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان بن حرب كاتب الوحى ، وصاحب الفضائل التى لا حصر لها ، ومن مزاياه وخصاله أن عمر بن الخطاب جمع له الشامات كلها وأفرده بها ليكون واليا عليها ، لما رأى من حسن سياسته ، وقد أصبحت تحت قيادته أقوى قوة فى الإسلام ، وهى طليعة جيوش الجهاد والفتوح الظافرة الداعية إلى الله بأخلاقها وسيرتها وحكمة قائدها معاوية ، وقد مدحه علماء الإسلام مدحاً يدل على فضله – رضوان الله عليه – فقد قال العلامة ابن كثير فى « البداية والنهاية » ١١٩/٨ : « لقد بلغ من همة معاوية وعظيم شأنه حمايته لحدود الإسلام وبلاده أنه أرسل يهدد ملك الروم – وهو فى معمعة القتال مع على فى صفين – وقد بلغه أن ملك الروم اقترب من الحدود فى جنوب عظيمة ، فكتب إليه يقول : « والله لئن لم تنته وترجع إلى بلادك لأصطلحن أنا وابن عمى عليك ، ولأخرجنك من جميع بلادك و لأضيقن عليك الأرض بما رحبت » فخاف ملك الروم وانكف .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية فى منهاج السنة ٣/ ١٨٥ : « لم يكن من ملوك الإسلام خيراً من معاوية ، ولا كان الناس فى زمان ملك من الملوك خيراً منهم فى زمن معاوية ، إذا انتسب أيامه إلى أيام من بعده » وهذه الشهادة من هؤلاء الأئمة الأعلام لأمير المؤمنين معاوية صدى استجابة الله عز وجل لدعاء نبيه ﷺ لهذا الخليفة الصالح يوم قال : « **اللهم اجعله هادياً مهدياً واهد به** » رواه الترمذى وحسنه وهو صحيح الإسناد كما فى مشكاة المصابيح .

وقوله : « **خال المؤمنين** » إشارة إلى أنه ـــ رضى الله عنه ـــ أخ لأم المؤمنين أم حبيبة بنت أبى سفيان فهو على ذلك خالهم .

(٢) وذلك لأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح ، وقد حذر النبى فى كثير من أحاديثه من الخروج على الإمام كيلا تحدث فتنة ، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة .

هجران أهل البدع

ومن السنة هجران أهل البدع[1] ، ومباينتهم ، وترك الجدال والخصومات فى الدين ، وترك النظر فى كتب المبتدعة[2] والإصغاء إلى كلامهم ، وكل

---

(١) وردت آثار كثيرة لا حصر لها تدعوا إلى الابتعاد عن أهل البدع وبدعهم ، وجدير بنا قبل أن نذكر الآثار الدالة على ذلك أن نتحدث عن معنى البدعة لغة وشرعاً فقد قال الإمام أبو شامة الشافعى فى كتابه « الباعث على إنكار البدع والحوادث » : « فإن قيل : ما معنى البدعة ؟ قلنا : أصل هذه الكلمة من الاختراع ، وهو الشىء يحدث من غير أصل سبق ولا مثال يحتذى ، ولا ألف مثله ، ومنه قولهم : بدع الله الخلق : أى خلقهم على غير مثال سبق ومنه قوله تعالى : ﴿ بديع السموات والأرض ﴾ [البقرة : ١١٧] ، وقوله : ﴿ قُلْ ما كنتُ بدعاً من الرسل ﴾ [الأحقاف : ٩] أى لم أكن أول رسول إلى أهل الأرض . قال : وهذا الاسم يدخل فيما تخترع القلوب ، وفيما تنطق به الألسنة ، وفيما تفعله الجوارح ، والدليل على هذا ما سنذكره فى أعيان الحوادث من تسمية الصحابة ــ رضى الله عنهم ــ وكافة العلماء بدعاً للأقوال والأفعال .

قلت : وقد غلب لفظ البدعة على الحدث المكروه فى الدين مهما أطلق هذا اللفظ ، ومثله لفظ المبتدع لا يكاد يستعمل إلا فى الذم ، وأما من حيث الاشتقاق فإنه يقال ذلك فى المدح والذم المراد ، لأن المراد أنه شىء مخترع على غير مثال سبق ، ولهذا يقال فى الشىء الفائق جمالاً وجودة : ما هو إلا بدعة .

وقال الجوهرى فى كتاب صحاح اللغة : البديع والمبتدع والبدعة : الحدث فى الدين بعد الاكمال والبدعة فى الشرع : هى الأمر الذى لم يكن عليه الصحابة والتابعون ، ولم يكن مما اقتضاه الدليل الشرعى ، وسميت البدعة بهذا الاسم لأنه قائلها ابتدعها من غير مقال إمام .

أما الآثار الدالة على اتباع السنة وهجران البدعة فكثيرة ومنها : قول عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : « اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفيتم » وقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « إنه سيأتى ناس يجادلونكم بشبهات القرآن ، فخذوهم بالسنن ، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله » وقال محمد بن مسلم : « من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام » وهذا كلام حكيم ذلك لأن توقير المبتدع مؤد إلى اقتناعه بصحة ما فعل ، وازديادة فى فعل المبتدعات أما إذا أحس بالمقاطعة فإنه لابد منته عما يصنع ، عائدا إلى الصواب ، وقد جاء فى مثل هذا المعنى قول أبى قلابة : « لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم فإنى لا آمن أن يغمسوكم فى ضلالتهم أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون » ويمكن للقارىء أن يعود فى هذا الموضوع إلى كتاب « الباعث على إنكار البدع والحوادث » إصدار مكتبة ابن سينا بتحقيق عادل عبد المنعم أبو العباس ، وكتاب « الأمر بالاتباع والنهى عن الابتداع » إصدار مكتبة القرآن بتحقيق مصطفى عاشور ، وذلك إذا أراد الزيادة وهو مزيد لها لا محالة .

(٢) ترك النظر فى كتب المبتدعة ليس فرضاً ، وإنما هو من باب الحفاظ على القارىء ، ولكن للعلماء أن ينظروا فى هذه الكتب ، لمعرفة آراء المبتدعة لاستطاعة الرد عليها وذلك من باب قول الشاعر :

عرفتُ الشرّ لا للشرّ ... لكن لتوقيه
ومن لم يعرف الشر من ... الناس يقع فيه

محدثة فى الدين بدعة[1]، وكل مُتَسم بغير الإسلام والسنة مبتدع كالرافضة[2]، والجهمية[3] والخوارج[4]،

(١) يشير بذلك إلى حديث صحيح أخرجه ابن ماجه فى المقدمة باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين ١٥/١ ، ١٦ ، والدارمى فى المقدمة باب اتباع السنة ٤٤/١ ، ٤٥ ، وأبو داود فى كتاب السنة باب فى لزوم السنة ٢٦١/٢ ، والحاكم فى المستدرك كتاب العلم ٩٦/١ ، ٩٧ ، وأحمد فى المسند ١٢٦/٤ ، ١٢٧ ، وصحيح الجامع للألبانى ٤٩٩/١ .

(٢) الرافضة : اسم يطلق على فرق متعددة ، رفضوا إمامة أبى بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان ابن عفان ومن هؤلاء فرقة يطلق عليها الجارودية ، وهم أتباع أبى الجارود الهمذانى ، وقد زعموا أن النبى ﷺ نصَّ على إمامة على بن أبى طالب بالوصف دون الأسم ، وزعموا أيضا أن الصحابة كفروا بتركهم بيعة على بن أبى طالب وقالوا أيضا : إن الحسن بن على كان هو الإمام بعد على ثم أخوه الحسين كان إماماً بعد الحسن وافترقت الجارودية فى هذا الترتيب فرقتين :

فرقة قالت : إن عليا نص على إمامة ابنه الحسن ، ثم نص الحسن على إمامة أخيه الحسين بعده ثم صارت الإمامة بعدهما شورى .

وزعمت الفرقة الثانية منهم : أن النبى ﷺ هو الذى نص على إمامة الحسن بعدَ على ، وإمامة الحسين بعد الحسن . ومن فرق الرافضة كذلك الجريرية أتباع سليمان بن جرير الذى قال : إن الإمامة شورى وإنها تنعقد لرجلين من خيار الأمة ، وزعم أن الأمة تركت الأصلح لأن عليا كان أولى بالإمامة من أبى بكر وعمر . وهناك فرقة تسمى البترية وهم أتباع رجل يقال له الأبتر ، وهم أحسن حالا عند أهل السنة من الجريرية . وكلهم فى النهاية أصحاب بدع . ولمزيد من التفصيل راجع الفصل فى الملل والنحل لابن حزم ، والملل والنحل للشهرستانى ، والفرق بين الفرق للبغدادى تحقيق الخشت .

(٣) الجهمية : هم أتباع جهم بن صفوان الذى قال بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال ، وأنكر الاستطاعات كلها ، وزعم أن الجنة والنار تبيدان وتفنيان أيضا أن الكفر هو الجهل فقط ، وقال : لا فعل ولا عمل لأحد إلا الله وإنما تنسب الأعمال إلى المخلوقين على المجاز وزعم أن الله حادث ، وامتنع عن وصف الله بأنه شيء أو عالم أو حى أو مريد وقال : « لا أصفه بوصف يجوز إطلاقه على غيره كشيء وموجود ، وفاعل ، وخالق ، ومحيى ومميت ، لأن هذه الأوصاف مختصة به وحده ، وقال بحدوث كلام الله » ولم يُسَمِّ الله متكلما ..

وقد أكفره أهل السنة فى جميع ضلالاته . وانحرافاته . وكلامه مردود عليه وعلى فرقته التابعة له .

(٤) الخوارج : اسم يطلق على كل من خرج على الإمام الحق المتفق عليه ، وهم المتمردون على طاعة الإمام دون أن يعتنقوا مبدأ أو مذهباً معينا ، أو يكون لهم رأى خاص بهم ، ولكن صار هذا الاسم علماً على طائفة لها منطقها ومذهبها ورأيها ، وقد نشأت هذه الفرقة بسبب التحكيم فى الخلاف بين على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان رضوان الله تعالى عليهما . فإنه لما نشب القتال بينهما فى موقعة صفين ، وطلب معاوية وصحبه تحكيم كتاب الله تعالى ، واختلف أصحاب علي في إجابة الطلب ، ثم كانت نهاية الجدال قبول التحكيم ، قام فريق من جند على وقالوا : التحكيم خطأ ، وكفروا عليا ، وخرجوا من الكوفة إلى حروراء وسُمُّوا بالخوارج والحرورية وكذلك أطلق على بعضهم المارقة والمحكمة وهناك فرق أخرى عديدة تنتمى إلى الخوارج . وسائر فرقهم متفقون على أن العبد يصير كافراً بالذنب ، وهم يكفرون =

والقدرية[٢] ، والمرجئة[٢] ،

= عثمان بن عفان ، وطلحة ، والزبير بن العوام ، وعائشة زوج النبى ﷺ ، ويقولون : « لا حكم إلا الله » وهى كلمة حق أريد بها باطل .

ويمكننا — بتوفيق الله — أن نبين أهم مبادىء الخوارج الشاذة التى اتفقوا عليها وهى كما يلى :

١ — تعظيم أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وصحة خلافتهما ، وصحة خلافة عثمان فى أول ولايته ، وكان يجب عزله عندما غير طريقة أبى بكر ، وولى أقاربه .

٢ — تكفير كل من لم يكن معهم ، ولو كان موقفه سلبيا أو محايداً .

٣ — كل من ارتكب كبيرة فهو كافر مخلد فى النار ، بل إنهم يكفرون أصحاب الذنوب ، ولم يفرقوا بين ذنب وذنب ، واعتبروا كل من أخطأ فى رأيه مذنبا ، ولذا كفروا عليا قبل التحكيم كما ذكرتُ آنفاً .

٤ — وجوب الخروج على الإمام الجائر وقتاله .

وهم يستندون فى جميع أقوالهم على أدلة واهية ، وشبه مردودة ، ذلك أنهم يأخذون بظواهر النصوص القرآنية والأحاديث النبوية . فمثلا يعتمدون فى تكفير مرتكب الكبيرة على تفسير خاطىء لقوله تعالى : ﴿ ولله على الناس حِجّ البيتِ من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين ﴾ فقد جعلوا تارك الحج كافراً لأن ترك الحج ذنب ، وكل مرتكب للذنب كافر ، ولم يعترفوا بأن الكفر المقصود فى الآية ليس إلا كفران النعمة ، وعلى هذا المنوال سار كل من أراد تكفير المجتمع فى القديم والحديث ، وأقوالهم مردودة عليهم .

(١) القدرية : فرقة من الفرق الضالة القائلة أن لا قدر والأمر أُنف : يعنى مستأنفاً ، وهم فرق متعددة منها فرقة يقال لها : الخابطية ، وهم أتباع أحمد بن خابط القدرى ، كان من أصحاب النظام فى الاعتزال ، وقد زعم هذا الملعون أن للخلق ربَّين وخالقين أحدهما : قديم وهو الله سبحانه . والآخر : مخلوق وهو عيسى بن مريم ، وزعم أن عيسى ابن الله على معنى دون الولادة . وقد شاركه فى هذا الرأى ملعون آخر هو فضل الحدثى ، وهما بذلك كافران ملحدان .

ومنهم فرقة يطلق عليها الحمارية ، وهم معتزلة عسكر مكرم . قالوا بتناسخ الأرواح فى الأجساد ، وزعموا أن الإنسان قد يخلق أنواعاً من الحيوانات كاللحم إذا دفنه أو وضعه فى الشمس فيدود ، وزعموا أن تلك الديدان من خلق الإنسان . وهؤلاء شر من المجوس .

(٢) المرجئة : فرقة من الفرق التى قالت بتأخير الحكم على مرتكب الكبيرة إلى يوم القيامة ، فلا يُقضى عليه بحكم ما فى الدنيا بكونه من أهل النار أو من أهل الجنة . فالإرجاء معناه التأخير . يقال : أرجأته وأرجيته ، إذا أخرته .

وسبب نشأة هذه الفرقة : أنه لما انقسم أتباع علىٍّ رضى الله عنه بسبب رضائه عن التحكيم إلى خوارج وشيعة ، وذهب الخوارج إلى تكفير علىٍّ وعثمان ، والشيعة إلى تكفير أبى بكر وعمر أرجأ هؤلاء الحكم فى شأنهم إلى الله ، ولهذا سُمُّوا بالمرجئة .

وقد قسمهم البغدادى إلى ثلاثة أصناف :

١ — صنف قالوا بالإرجاء فى الإيمان وبالقدر على مذهب القدرية والمعتزلة .

٢ — وصنف قالوا بالإرجاء فى الإيمان ، وبالجبر فى الأعمال على مذهب جهم بن صفوان .

٣ — والصنف الثالث قالوا بخلاف ما قاله الجبرية والقدرية .

والمعتزلة [1]، والكُرَّامِية [2] ، والسَّالمة [3] ، ونظائرهم . فهذه فرق الضلال

= وأهم مبادئهم التى أسسوا عليها مذهبهم :

١ ــ القول بإيمان المتنازعين ، وإن كان بعضهم مصيبا وبعضهم مخطئا ، وحيث انهم لا يعلمون ولا يستطيعون تعيين المصيب من المخطىء فإنهم يرجئون أمرهم إلى الله .

٢ ــ الحكم على مرتكب الكبيرة بتفويض أمره إلى الله إن شاء عذبه ، وإن شاء عفا عنه وغفر له .

٣ ــ غالى بعضهم فقال : إن السجود للصنم ليس بكفر ، ولكنه دلالة الكفر . وهو قول المريسية أتباع بشر المريسى ، وهم مرجئة بغداد .

وهناك فرق أخرى تنتمى إلى المرجئة مثل التومنية أتباع أبى معاذ التومنى ، والثوبانية أتباع أبى ثوبان المرجىء الذى زعم أن الإيمان هو الإقرار بالله وبرسله ، وبكل ما يجب فى العقل فعله . وهناك فرق أخرى كثيرة ذكرها البغدادى فى كتابه « الفرق بين الفرق » والشهرستانى فى « الملل والنحل » .

(١) المعتزلة : هم أصحاب واصل بن عطاء . نشأت هذه الفرقة فى بداية القرن الثانى الهجرى بالبصرة ، وسبب نشأتها اختلاف واصل بن عطاء مع شيخه الحسن البصرى فى حكم مرتكب الكبيرة . قال الشهرستانى فى الملل والنحل : « دخل واصل بن عطاء على الحسن البصرى فقال: يا إمام الدين لقد ظهر فى زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر ، وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر ، فكيف تحكم لنا » وقبل أن يجيب الحسن قال واصل: أنا أقول إن مرتكب الكبيرة ليس بكافر مطلقا ولا مؤمن مطلقا ، ولكنه بين المنزلتين . ثم اعتزل مجلس أستاذه الحسن ، فقال : اعتزلنا واصل ، فسموا لأجل ذلك معتزلة . وأهم مبادئهم التى أقاموا عليها مذهبهم :

١ ــ وجوب معرفة الله بالعقل . ٢ ــ إنكار صفات المعانى والقول بخلق القرآن .

٣ ــ مرتكب الكبيرة فى منزلة بين المنزلتين ولا شفاعة له .

٤ ــ نفى رؤية الله تعالى فى الدنيا والآخرة لما تقتضيه من التجسيم والجهة .

٥ ــ الله يريد الخير ولا يريد الشر ، ويجب عليه فعل الصلاح والأصلح لعباده .

وقد ردَّ أهل السنة على جميع شبههم بالأدلة الناصعة ، والبراهين الواضحة .

ومع هذا فإننا لا ننكر فضلهم فى الدفاع عن الإسلام ضد أعدائه ، ورزانة آرائهم العقلية فى بعض الأمور .

(٢) الكَرامية : هم أصحاب أبى عبد الله محمد بن كرام ، كان ممن يثبت الصفات إلا أنه ينتهى إلى التجسيم والتشبيه ، وقد نصَّ على أن معبوده على العرش استقراراً ، وعلى أنه بجهة فوق ، وأنه مماس للعرش من الصفحة العليا ، وهو يتجول ويتنقل وينزل ، ومنهم من قال : إنه ــ تعالى عما يقولون ــ على بعض أجزاء العرش ، وقال بعضهم إنه ــ تعالى ــ بجهة فوق وقد امتلأ العرش به ، وصار المتأخرون من الكرامية إلى أن بينه وبين العرش من البعد والمسافة ما لو قدر مشغولاً بالجواهر لاتصلت به ، ومن أصول مذهبهم قيام كثير من الحوادث بذات البارى تعالى ، وأن ما يحدث فى ذاته إنما يحدث بقدرته ، وما يحدث مباينا لذاته ، فإنما يحدث بواسطة الأحداث .

وأنت من خلال ما ذكرته لك مدرك فساد مذهبهم ، ووضوح ضلالتهم فهم مجسمة ومشبهة وخلاصة القول أنهم أهل بدع وأصحاب مذهب فاسد . راجع الملل والنحل للشهرستانى ص ١١٥ وما بعدها .

(٣) السالمة : فرقة منحرفة ضالة يتبعون رَجلاً يقال له : ابن سالم الذى كان يقول : إن الله تعالى على =

وطوائف البدع أعاذنا الله منها .

التقليد فى المذاهب

وأما النسبة إلى إمام فى فروع الدين كالطوائف الأربع فليس بمذموم [1] ، فإن الاختلاف فى الفروع رحمة [2] ، والمختلفون فيه محمودون فى اختلافهم مثابون فى اجتهادهم ، واختلافهم رحمة واسعة واتفاقهم حُجَّة قاطعة . نسأل الله أن يعصمنا من البدع ، والفتنة ويحيينا على الإسلام والسنة ، ويجعلنا ممن يتبع رسول الله ﷺ فى الحياة ، ويحشرنا فى زمرته بعد الممات برحمته وفضله آمين .

وهذا آخر المعتقد ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً .

= صورة إنسان له يد ورجل وأنف وأذن وعين وفم ، وله وفرة سوداء ، ونصفه الأعلى مصمت ، ونصفه الأسفل مجوف إلا أنه ليس لحماً ولا دماً . تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

(١) يعنى بهذه النسبة أن ينتسب الإنسان المسلم إلى مذهب معين كالمالكية ، والشافعية ، والحنفية ، والحنابلة ، وقد ذهب بعض العلماء إلى وجوب اتباع أحدهم فى المذهب ، ولكننا نقرر أنه لايجب ، بل هو متروك لحرية الإنسان .

(٢) الاختلاف فى الفروع لا يضر ، بل هو دليل على سعة فقهنا الإسلامى ، وإعمال الفكر فى فهم أصول الإسلام واختلاف الأئمة فى هذه الفروع راجع إلى اختلاف الأفهام ، فهم — رضوان الله عليهم — متفقون على أصول الإسلام ، وهو فى الحقيقة — أعنى الخلاف من الفروع — اختلاف تنوع لاختلاف تضاد ، لا كما فهمه من لا علم له ، فراح يحارب مخالفه فى المذهب مدعياً أن كلام إمامه هو الحق .

وبسبب هذا الفهم الخاطىء وقع التعصب المذهبى بين الأمة فى وقت ضعفها ، فوجدنا المنتمى لمذهب الشافعى المقلد له يسب ويعيب المقلد للمذهب المالكى ، والمقلد للمذهب الحنفى يمجد مذهبه ويحقد على غيره من أتباع المذاهب الأخرى ، وقد أدى هذا الخلاف إلى وقوع خصومات مازالت الأمة تتحمل أضراره إلى اليوم ، والحق أن هذا الأمر لم يحدث قط بين أئمة المذاهب أنفسهم فقد كانوا رحمهم الله مثال الفهم والمعرفة نسأل الله لنا ولهم الرحمة والمغفرة .

تم التحقيق بحمد الله مساء الثلاثاء ١٠ ربيع الأول سنة ١٤١٠ هـ ...

١٠ أكتوبر سنة ١٩٨٩م

المحقق

عادل عبد المنعم أبو العباس

مـراجع التحقيق

أ ـ القرآن الكريم

ب ـ ١ ـ صحيح الإمام البخارى .

٢ ـ فتح البارى شرح صحيح البخارى .

٣ ـ صحيح الإمام مسلم .

٤ ـ صحيح مسلم بشرح النووى .

٥ ـ سنن الترمذى .

٦ ـ سنن ابن ماجه .

٧ ـ سنن أبى داود .

٨ ـ مستدرك الحاكم .

٩ ـ كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال — المتقى الهندى

١٠ ـ الفصل فى الملل والنحل — ابن حزم

١١ ـ الملل والنحل — الشهرستانى

١٢ ـ العقيدة والأخلاق — على معبد ، ويحيى الجمل

١٣ ـ الباعث على انكار البدع والحوادث لأبى شامة الشافعى . تحقيق عادل أبو العباس

١٤ ـ الحضارة القرآنية من سورة الروم — د . عبد المنعم سيد حس

١٥ ـ الاتقان فى علوم القرآن — الإمام السيوطى

١٦ ـ منار الهدى فى بيان الوقف والابتدا — العلامة الأشمونى

١٧ ـ البرهان فى عقائد أهل الأديان — للإمام السكسكى

١٨ ـ ديوان زهير بن أبى سُلمى — للشاعر زهي

١٩ ـ البداية والنهاية — للإمام ابن كثي

٢٠ ـ طبقات الحفاظ — للإمام السيوطى

٢١ ـ الثلاثة الذين تكلموا فى المهد — عادل عبد المنعم أبو العباس

obeikandi.com

٢٢ ـ تاريخ المذاهب الإسلامية	محمد أبو زهرة
٢٣ ـ عقيدة المسلمين والعقائد الباطلة	محمد عبد المنعم القيعى
٢٤ ـ حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح	لابن القيم . تحقيق عادل أبو العباس
٢٥ ـ العقيدة الواسطية	لابن تيمية
٢٦ ـ الفرق بين الفرق	للبغدادى . تحقيق محمد عثمان الخشت
٢٧ ـ المتحابين فى الله	لابن قدامه . تحقيق
٢٨ ـ الروح	لابن القيم . تحقيق عادل أبو العباس

وغيرها مما ورد فى حاشية الكتاب

obeikandl.com

obeikandl.com

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
مقدمة المحقق	٥
عقيدة تواكب الفطرة	٧
ترجمة المؤلف	٨
فى رحاب العلم	٨
من التلمذة إلى الأستاذية	٩
ثناء العلماء عليه	٩
أسد فى ساحة المعركة	١٠
مؤلفـــاته	١١
شـــعره وجمـاله	١٢
إلى الرفيق الأعلى	١٣
بين يدى الكتاب	١٤
توثيق نسبة الكتاب لابن قدامة	١٥
منهج التحقيق	١٦
صفات الله وأقوال أهل السنة فيها	٢١
ما جاء فى القرآن والسنة من آيات الصفات	٢٧
من صفات الكمال لله	٣٣
القرآن كلام الله	٣٦
إنكم سترون ربكم	٤٢
فعال لما يريد	٤٤
الاحتجاج بالقضاء والقدر	٤٦
زيادة الإيمان ونقصانه	٤٧
آمن بما جاء عن رسولك	٤٨

obeikandl.com

الحشر.. حق وصدق ٥٣
الميزان من أمور الآخرة ٥٥
وجود الجنة والنار ٥٧
عقيدة ختم النبوة ٥٩
فضائل الخلفاء الراشدين ٦٠
المبشرون بالجنة ٦٣
الحذر من تكفير الناس ٦٥
لا تسبوا أصحاب النبى ٦٦
أمهات طاهرات ٦٨
هجران أهل البدع ٧١
التقليد فى المذاهب ٧٥
مراجع التحقيق ٧٦

رقم الايداع ١٩٩٠/٢٦٠٦

openkandl.com